الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الشهيد حمة لخضر الوادي
كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية
قسم التاريخ

مذكرة بعنوان:

الحياة العلمية في قلعة بني حماد

(398_547هـ\1007_1152م)

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات شهادة الماستر أكاديمي

في تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط

إعداد الطالبتين :

- سمية يحي
- عائشه معامير

إشراف الأستاذ:

أ.د/ عمار غرايسه

لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الصفة
أ/ السعيد عقبة	أستاذ مساعد	رئيسا
أ.د/ عمار غرايسه	أستاذ	مشرفا ومقررا
د/ عبد الرؤوف زواري	أستاذ محاضر	ممتحنا

السنة الجامعية: 1446 – 1447 هـ / 2024 – 2025 م

شكر وعرفان

الحمد لله الذي أنار طريقنا وثبت خطانا وأمدنا بالصبر الاعمال المشوان والحمد لله رب العالمين الذي أحيا قلوب العارفين بنور معرفته

نتقدم بالشكر الجزيل للأستاذ الفاضل والمشرف على هذا العمل البرفسور

غرائسه عمار والذي قدم لنا يد العون ولم يبخل علينا بتوجيهاته الخاصة وآرائه العلمية ونصائحه المثمرة التي أفدتنا موضوعنا

فله جزيل الشكر وفائق الاحترام والتقدير

كما تتقدم بالشكر اساتذة جامعة الوادي -قسم التاريخ.

إلى كل من ساهم في هذا العمل من قريب أو من بعبد.

اهـــــــداء

هدي عملي هذا:

الغائبة عن عيني ...والحاضرة في قلبي ... التي ذاع سيطها في الولاية امرأة الستين حفظت الستين وقبل انقضاء اليوم الستين رحلت فجأة ... فتحول طعم الحلويات احتفالا بختمها لكتاب الله إلي مرارة تجرعناها يوم العزاء وما بعده ....

إلى الشاعرة الحكيمة التي تركت كلماتها نستشهد بها في كل مجلس.... الكلمات لا توفيها حقها ... إنها أمي رحمها الله ...

الي والدي المجاهد الحقيقي بلا زيف ولا شبهة ولا تزوير ..ولأنه شهد معارك داخل الوطن وخارجه أعتبره مرجعي في التاريخ وخريطتي في الجغرافيا ...

المجاهد عبد الله يحي حفظه الله ..

إلى سندي في الحياة بعد الله زوجي العزيز ...

الى الأغصان الصغيرة التي تركها وجع غياب أخي يزيد رحمة الله عليه(عبد النور *وجدان * سيرين).

الى من قاسموني أوجاع الفراق وسعادة اللقاء :اخوتي وأخواتي وأبنائهم وبناتهم ...

الي كل من مد لي العون لإنجاز هذه المذكرة ولو بكلمة ...

الى رفيقة دربي عائشة معامير .

- والى كل الأشخاص الذين أحمل لهم المحبة والتقدير.

الى من علمونا حروف من ذهب وكلمات من درر عبارات من أسمك عبارات العلم إلى من صاغوا لنا من عملهم حروف ومن فكرهم منارة تسير لنا سيرة العلم والنجاح الى اساتذتنا الكرام وخاصة الدكتور غرائسة عمار

سمية

اهداء

الا لهي ولا يطيب االنهار الا بذكرك الا ، ولا تطيب الآخرة إلا بعفوك ولا تطيب الجنة الإ برؤيتك الله لا جل جلاله.

إلى من بلغ الرسالة وادي الأمانة .... الى بني الرحمة ونور العالمين محمد صلى الله عليه وسلم.

أهدى ثمري عملي هذا.

– الى روح والدتي الغالية رحمها الله واسكنها فسيح

جناته، والتي أفاقت علي فضلها وكرمها وعمل تني بحبها الصادق.

– البروح والدي الغالي والعزيز رحمة الله وغفر له واسكنه.

فسيح جناته، الذي عمل بكد في سبيلي وعلمني معنى الكفاح

واوصلني إلى ما أنا عليه.

–الى زوجي العزيز والمخلص

الى ابنتي الغالية حفظها الله ورعاها فاطمة الزهراء.

– الى من هم أنس عمري ومخزن ذكرياتي إخواني وأخواتي كل واحد باسمه

–الى رفيقة دربي سمية يحي.

– والى كل الأشخاص الذين أحمل لهم المحبة والتقدير.

الى من علمونا حروف من ذهب وكلمات من درر عبارات من أسمك عبارات العلم إلى من صاغوا لنا من عملهم حروف ومن فكرهم منارة تسير لنا سيرة العلم والنجاح الى اساتذتنا الكرام وخاصة الأستاذ غرائسة عمار

عائشة

قائمـــة المختصـرات

تق	تقديم
تر	ترجمة
تع	تعليق
تعر	تعريب
تح	تحقيق
مر	مراجعة
ط	طبعة
دط	دون طبعة
دس	دون سنة
دن	دون نشر
دم	دون مكان
ج	الجزاء
مج	مجلد
ع	العدد
ت	تاريخ وفاة
م	ميلادي
هـ	هجري
S L	دون مكان
ED	طبعة
SED	دون طبعة
SP	دون نشر

مقدمة

يعتبر المغرب الأوسط قلعة من قلاع الإسلام الحصينة ، لها تاريخ عريق من خلال مروره بعدة حضارات ودول .ولقد شهد التاريخ الإسلامي نبوغ عدة دول وكان من بين ابرز الدول المستقلة التى عرفت بالمغرب الأوسط هي الدولة الحمادية بالقلعة ثم بجاية خلال القرن الخامس هجري الحادي عشر ميلادي ،والتي كان لها الاثر البالغ في بناء هذا الصرح الكبير من تاريخ المغرب الإسلامي على مدار فترة قيامها وحتى بعد سقوطها .

وقد حاولنا في بحثنا هذا تسليط الضوء على الحياة العلمية بقلعة بني حماد، فجاء عنوان مذكرتنا موسوما ب "الحياة العلمية في قلعة بني حماد 408 – 461 هـ /1017 -1070 م "

1. **أهمية الموضوع** : تمكن أهمية اختيارنا لهذا الموضوع ،كون أنه يطلعنا على الجانب العلمي والثقافي لمدنية قلعة بني حماد ،خاصة و أن جل الدراسات والبحوث التاريخية تركز أكثر على الجانب الساسي

2. **اسباب اختيار الموضوع** :

- الرغبة في التعرف على الحياة العليمة بقلعة بنى حماد.

- السعي لا ثراء الرصيد المعرفي من خلال دراسة شاملة للمؤسسات التعليمية و دورها في ازدهار الحياة العلمية بالقلعة ، إضافة الى التعرف على مختلف العلوم وأبرز العلماء ونماذج من اسهاماتهم.

شكلت الحركة العليمة بعموم بلاد المغرب الاسلامي فضاء متميزا تنامي مع تعدد الاسهامات التي كان وراها تشكيلات سياسية اختلفت في مدى اسهاماتها ، ومن هذا المنطلق جاءت محاولة البحث في هذا العمل حول مدى الاسهام الذي عرفته قلعة بنى حماد ،وما ابرز ملامح الحياة العلمية بها خلال فترة قيامها الى غاية الانتقال الى العاصمة الجديدة بجاية (408- 461هـ/ 1017- 1070 م) وماهي أبرز التأثيرات المتبادلة بينها وباقي الحواضر والمدن التي كانت محل تواصل معها.

وقد تدرج تحت الاشكالية العامة اشكالات جزئية يمكننا إيجاز أهمها في التالي :

1. فيما تتمثل عوامل إزهار قلعة بني حماد, خاصة في الجانب العلمي ؟
2. ما الدور الذي لعبته المؤسسات التعليمة في ازدهار التعليم في مدينة القلعة ؟
3. ما هي أهم العلوم التي ظهرت بالقلعة وما أشهر العلماء ؟
4. إلى أي مدى أثرت قلعة بني حماد علميا على الحواضر الاخرى ؟

حولنا قدر الامكان الإعتماد على ما رأيناه مناسبا لهذا العمل من خلال الإعتماد على :

أ- **المنهج التاريخي** : حيث قمنا بجمع المادة العلمية من مصادر ومراجع مختلفة ثم توثيقها ،وذلك من خلال دراسة أهم المؤسسات التعليمية بالقلعة وأبرز العلوم اضافة الى أشهر العلماء بها .

ب- **المنهج الوصفي**: ثم تحرير الموضوع من خلال وصفنا للحياة العلمية بمدينة القلعة .

الدّراسات السابقة: اعتمدنا في تحرير مذكرتنا على بعض الدراسات السابقة منها .

1. عبد الغني حروز

- في مقال المؤسسات التعليمة بمدينة القلعة ،حيث تناول صاحب المقال مختلف المؤسسات التعليمة بالقلعة ودورها في انعاش الحياة العلمية .
- العلاقات الثقافية, مرحلة القلعة أنموذجا (مجلة العلوم الإنسانية): وقد تناولت هذه المجلة دور المؤسسات التعليمية بالقلعة.

2. رحاب المغربي محمد كمال محمد أحمد : التجارة في العصر الحمادي (408_547هـ/1017_1152م) بحث مقدم في قسم التاريخ ,جامعة دمياط ,مصر , وقد تضمنت دور المساجد والزوايا في العهد الحمادي .

خطة البحث : وللإلمام بإشكالية الموضوع وفروعها اتبعنا خطة بحث احتوت على :

– مقدمة وقدت تضمنت تمهيد للموضوع,كما أبرزنا فيها أهمية الموضوع وأسباب اختياره كما طرحنا فيها اشكالية تخدم موضوعنا، بالإضافة الي المنهج المتبع وخطة الدراسة تم فيها ايضا دراسة نقدية للمصادر والمراجع

– مدخل وقد تناولنا فيه لمحة عن العصر الحمادي والموقع الجغرافي للقلعة وتأسيس ونشأة مدنية القلعة والتعريف بمؤسس القلعة

– الفصل الاول: المعنون :بعوامل ازهاد قلعة بني حماد , وتضمن مختلف العوامل الاجتماعية و السياسية والاقتصادية اضافة العوامل الثقافية التي ساعدت على ازدهار الحياة الثقافية بالقلعة وبعد هذا الفصل ضروري الولوج الى الحياة العملية بالقلعة

– الفصل الثاني والمعنون بـ مظاهر الحياة العلمية في قلعة بني حماد ، وقد تضمن مبحثين ،حيث تطرقنا في الأول الى المؤسسات التعليمية بالقلعة ودورها في تنشيط الحياة العليمة أما المبحث الثاني فتناولنا فيه مختلف العلوم المنتشرة بالقلعة وأبرز علمائها.

– الفصل الثالث : وعنوانه : أشهر علماء القلعة واسهاماتهم في الحضارة الاسلامية ، وتضمن أيضا مبحثين بحيث تطرقنا أولا الي أهم علماء ومفكرين في القلعة و بعض إنجازاتهم في حين سلطنا الضوء في المبحث الثاني على التأثير العلمي للقلعة على الحواضر المغربية(بجاية – القيروان)

– الخاتمة : وختمنا دراستنا بأهم النتائج التي توصلنا إليها.

- **دراسة نقدية لأهم المصادر والمراجع:**

أ- المصادر:

- **كتب التاريخ العام :**

- كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر لعبد الرحمان بن خلدون (ت 808 هـ 1406م) و يتكون من سبعة أجزاء شاملا تاريخ البلاد العربية في المشرق والمغرب، وقد أفادنا في بحثنا الجزء السادس تحديد ما تعلق بالجوانب السياسة خاصة ما اتصل بحياة الأمراء وكذلك تأسيس المدينة.
- كتاب المقدمة لابن خلدون وقد تناول فيها جميع موضوعات المعرفة مثل العلوم الشريعة والتاريخ والجغرافيا , وكذلك تحدث عن علم العمران والاجتماع والسياسة والطب كما استعرض فيها أحوال الناس والخلافات في طبعهم ، وأثر البيئة الكبير على الإنسان وقد أفادنا في بعض علماء القلعة .

- **كتب الجغرافيا:**

- كتاب نزهة المشتاق في احتراف الآفاق: للشريف الإدريسي (ت: 547هـ /1159م)، ويشمل كتابه على معلومات مهمّة في الجغرافيا والبقاع المعروفة في تلك الفترة، فهو يتحدّث عن عمارة المدن والأسوار والقرى والأمصار وكل ما يتعلّق بالتّضاريس....، وقد أفادنا في جغرافية حاضرة القلعة.
- كتاب معجم البلدان لياقوت الحموي (ت: 626هـ /1128م)، هذا المصدر الكامل في جغرافية العالم الإسلامي، فقد تحدث عن البقاع والأماكن وأسماء المدن، وكل ما يتعلّق بطبيعتها، وتمت الاستفادة منه في وصف جغرافية وتضاريس قلعة بني حماد.

- **كتب التراجم والسير:**

- كتاب عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، لأبي العباس أحمد بن أحمد بن عبد الله الغبريني (ت: 714هـ/ 1315م)، ومن خلال هذا المؤلف استطعنا أن نبني صورة عن الحياة الثقافية والعلمية بمدينة القلعة من خلال أشهر علماء القلعة والعلوم التي أبدعوا فيها.
- كتاب نيل البتهاج بتطريز الدباج ل أحمد بابا التنبكتي (ت1036هـ_ 1627)وهو من أهم المصادر التاريخية التي وثقت الحياة الثقافية والعلمية بالمغرب الإسلامي, حيث ترجم لعلماء شتى في مختلف التخصوصات والحقول المعرفية من جهات وحواضر مختلفة ,وقد أخذنا منه بعض علماء القلعة خاصة علماء العلوم اللسانية .

المراجع:

- كتاب دولة بني حماد: صفحة رائعة من التاريخ الجزائري لعبد الحليم عويس وهو كتاب مفصل ومعمق للدولة الحمادية، وقد استفدنا منه في الجانب الثقافي والعلمي لقلعة بني حماد.
- كتاب الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها، لرشيد بورويبة، وهو كتاب شامل لتاريخ الدولة الحمادية من الجانب السياسي والحضاري ، وقد استفدنا منه في عوامل ازدهار القلعة.
- القلعة قاعدة بني حماد لمحمد بن عميرة: , وتتحدث هذه المجلة عن الجانب الثقافي للقلعة.
- بلال حبيب: مراكز التعليم في العهد الحمادي قلعة بني حماد وبجاية الناصرية لبلال حبيب, (مجلة الفكر الجزائري), وقد أفادتنا في دور المؤسسات التعليمية بالقلعة.

الصعوبات :

من الصعوبات التي واجهتنا في اعداد هذه المذكرة نذكر :

- رغم توفر المادة العلمية التي تتعلق بالجانب العلمي للقلعة الإ أنها غير كافية خاصـــة في ما يتعلق بدور المؤسسات التعلمية في انعاش الحياة العلمية ,حتى وأن وجدت فإنها تمثلت في مقلات ومجلات
- ارتباطنا بوظيفتنا وخاصة مهنة التعليم جعلنا في صراع مع الزمن لكننا مع ذلك حاولنا بذل كل ما في وسعنا لا تمام مذكرتنا.

وفي الأخير نأمل أننا قد وفقنا في انجاز هذا البحث المتواضـــع وأن يكون عند حســـن ظن أســـاتذتنا الذين يطلعون عليه والله من وراء القصد .

المدخل

لقد شهدت منطقة المغرب الأوسط خلال القرن الخامس الهجري تحولات سياسية وعمرانية بارزة، كان من أبرزها قيام الدولة الحمادية، التي اختارت من قلعة بني حماد مركزًا لحكمها ومقرًا لسلطتها. وقد جاء هذا الاختيار نتيجة عوامل جغرافية وسياسية ودينية، جعلت من القلعة معلمًا حضاريًا مميزًا في تاريخ الجزائر الوسيط. ويهدف هذا المدخل إلى تقديم دراسة شاملة عن نشأة قلعة بني حماد، وموقعها الجغرافي، وأهم خصائصها المعمارية والدفاعية، إلى جانب التطرق إلى شخصية مؤسسها الأمير حماد بن بلكين، الذي لعب دورًا محوريًا في ترسيخ كيان الدولة الحمادية واستقلالها عن الحكم الزيري.

لمحة عن العصر الحمادي :

شهدت أرض المغرب الاوسط قيام دولة إسلامية بارزة هي دولة بني حماد، التي أسسها حماد بن بلكين بن زيري، والمنحدر من قبيلة صنهاجة البربرية المعروفة بتفرعاتها العديدة. وقد أصبحت قلعة بني حماد، التي شُيّدت عام (1007م /398 هـ)، مركزاً لهذه الدولة وعاصمتها الأولى، حيث بلغت أوج تطورها الحضاري والعمراني. وقد تعزز هذا الازدهار بوصول أصحاب الثراء من المغرب الأدنى، من تجار وعلماء وحرفيين، مما أضفى على القلعة قوة اقتصادية وثراءً ثقافياً لم تشهده المنطقة من قبل, ورغم قصر عمر القلعة الذي لم يتجاوز نصف قرن، فإن النصوص التاريخية تشيد بما وصلت إليه من تقدم ورقي في مختلف المجالات، مما يضعها في مصاف مدن إسلامية شهيرة أخرى مثل سامراء والزاهرة والمنصورة, ومع بقاء القليل من آثارها المكتشفة، فإن دراسة هذه الآثار والمخلفات المحفوظة تظل ضرورية لفهم عمق الحضارة الحمادية وتأثيرها في تاريخ الحضارة الإسلامية بالجزائر.[1]

[1] عبد الكريم عزوق ، قلعة بني حماد في ذاكرة التاريخ، مجلة الدراسات الأثرية، مج22، ع1، جامعة الجزائر، 2024، ص ،ص303،293.

موقع قلعة بني حماد :

تُعد قلعة بني حماد أول عاصـــمة رسمية للدولة الحمادية، التي ظهرت بالمغرب الأوســـط خلال القرن الخامس الهجري (الحادي عشـــر الميلادي)، بعد أن انفصـــلت عن الدولة الزيرية, وقد أنشـــأها حماد بن بلكين ســـنة 398هـــ/1007م على منحدر جبلي وعِر في الشمال الشرقي من مدينة المسيلة، على مسافة تقارب 36 كلم، وفق ما ذكره عبد الغني حروز نقلاً عن المصادر الجغرافية والتاريخية القديمة[1]

عرفت القلعة في بعض المصـــادر باســـم "قلعة أبي طويل"، كما سماها البكري[2]، وبنيت على جبل كتامة وهو مايعرف اليوم بجبل المعاضيد ، فيما أشار اليه ابن خلدون[3]. وقد تميز هذا الموقع بحصانته الطبيعية، إذ تحيط به قمة تاقربوست من الشمال، وجبل الغورين من الغرب، في حين تطل من الجنوب على شط الحضنة، ومن الشرق على وادي فرج. وقد وصفها ياقوت الحموي بأنها "قلعة عظيمة على قمة جبل تسمى تاقربوست[4]، بينما أكد الإدريسي أن المنطقة الجنوبية المقابلة لها أرض سهلة ممتدة لا تحوي جبالًا شاهقة قريبة، مما يعكس انفتاحًا جغرافيًا استراتيجيًا.

اتخذ حماد بن بلكين من هذا الموقع مقرًا لعاصـــمته الجديدة، لما يوفره من إمكانات دفاعية ومراقبة لتحركات القبائل الزناتية، وخاصة بعد التهديدات التي كانت تواجه العاصمة السابقة "أشير".[5] وبهذا التأسيس، أثبت حماد استقلاله الفعلي عن الدولة الزيرية، وساهم في نقل مركز الثقل السياسي إلى قلب المغرب الأوسط، مما جعل القلعة لاحقًا محط الأنظار ومقصدًا لطلبة العلم والسكان الهاربين من الاضطرابات في القيروان بعد زحف بني هلال

[1] عبد الغني حروز، ، قلعة بني حماد من خلال المصادر والمراجع ، قسم التاريخ، جامعة المسيلة، د ع, د س . ص 1 .

[2] البكري الاندلسي أبو عبيد الله، المسالك والممالك، تح: أندري فيري،ج2, دار الغرب الإسلامي، تونس ط1، 1992، ص 710.

[3] ابن خلدون عبد الرحمن، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر أيام العرب و العجم و البربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، ج 6، مكتبة القاهرة , مؤسسة الإعلامي للمطبعات , لبنان ,ط 1، 1982، ص 309.

[4] الحموي شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت ابن عبد الله ، معجم البلدان، ج2 ,دار صادر، بيروت، ط 1، 1995،ص _ص 389-390.

[5] بلد أو حص نبينها وبين المسيلة مرحلة من بلاد الزاب بنها الزيري بن مناد الصنهاجي ,وتعرف بأشير زيري كانت مدينة قديمة فيها اثار عجيبة وبناء زيري سورها وحصونها وعمرها فليس في تلك الأقطار أحصن منها , لمزيد ينظر : الحموي شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت ,المصدر السابق , ص60.

أشـــاد الإدريســـي بأهميتها الاقتصـــادية والعمرانية، وذكر أنها من أكبر المدن، وأكثرها ســـكانًا، وأغزرها خيرات، وأوسـعها عمرانًا[1]. كما أورد ابن خلدون أن حماد عمد إلى نقل سـكان المسـيلة وأولاد حمزة لتعمير القلعة، وخرب تلك المناطق القديمة حتى لا يفكروا في العودة إليها[2].

تأسيس قلعة بني حماد :

يرجع تأسيس مدينة قلعة بني حماد إلى الأمير حماد بن بلكين بن زيري، أحد أبرز قادة صنهاجة والذي شرع في بنائها سنة 398هـــ/1007م لتكون عاصمة لإمارته المستقلة عن الدولة الزيرية. وقد اختار حماد موقع القلعة بمنطقة الحضنة نظرًا لطبيعته الجغرافية الوعرة وموقعه الحصين، وهو ما أشارت إليه مصادر متعددة، مثل ابن خلدون الذي قال إن حماد "اختط مدينة القلعة بجبل كتامة سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة".[3]

جاء تأسيس القلعة تتويجًا لصعود حماد السياسي والعسكري في المغرب الأوسط، إذ تولى حكم أشير والمسيلة منذ عهد أخيه المنصـور، ثم توسـعت سـلطته تدريجيًا بدعم من الدولة الزيرية. وعندما تولى باديس الحكم، كلفه بإدارة أشـير والمغرب الأوســط، بل وأذن له ببناء مقر جديد، فكان ذلك إيذانًا ببداية اســتقلاله الفعلي، وهو ما تجلى لاحقًا بإعلان الانفصال الرسمي سنة 405هـ/1014م.[4]

سارع حماد إلى بناء المدينة وتحسين عمرانها، فاستجلب السكان من المسيلة و أولاد حمزة وأسكنهم فيها، كما نقل جراوة من المغرب وأسـكنهم بالقلعة، مما سرّع من عملية التعمير, وقد أورد ابن خلدون أن حماد "استكثر فيها من المساجد والفنادق، فاستبحرت في العمارة واتسعت بالتمدن"[5]، وهو ما جعلها لاحقًا مركزًا للعلم والحرف[6].

[1] الإدريسي الشريف محمد بن عبد محمد بن عبد الله ادريس، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، تح: محمد حاجي، دار الغرب الإسلامي، الرباط، ط 1، 1984، ص 401.
[2] ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر، المصدر السابق, ص 210.
[3] المصدر نفسه, ص 227.
[4] نفسه ,ص 227.
[5] نفسه ,ص 228.
[6] عبد الغني حروز، قلعة بني حماد من خلال المصادر والمراجع التاريخية، المرجع السابق ص 5 .

وقد اعتبرت القلعة مقرًا حصينًا للحماديين، شأنها في ذلك شأن المهدية للفاطميين، والمنصورية في آخر أيامهم بإفريقية. كما قورنت في حصانتها بقلعة صلاح الدين في القاهرة وقلعة الحصن بالشام[1]

تخللت عملية بناء القلعة وسنوات حكم حماد صراعات مع الزيريين، خصوصًا بعد محاولة باديس سحب بعض الأعمال منه وتكليف أخيه إبراهيم بتسليمها. غير أن حماد مدركًا لمكانته وقوته في المنطقة، رفض الأمر، وبدعم من إبراهيم أعلن استقلاله وخلع طاعة الفاطميين سنة 405هـ/1014م، متبنيًا المذهب السني ومنحازًا للخلافة العباسية ببغداد.[2]

واجه حماد لاحقًا حصارًا من باديس دام إلى غاية وفاة الأخير سنة 406هـ/1015م، مما أتاح للأمير الحمادي تأكيد استقلاله التام وتثبيت سلطته. ومنذ ذلك التاريخ، أصبحت قلعة بني حماد المركز الرسمي للدولة الحمادية، ومقرًا سياسيًا وعسكريًا وعلميًا هامًا في المغرب الأوسط.

التعريف بالمؤسس حماد ابن بلكين :

مولده ونشأته :

هو حماد بن بلكين بن زيري الصنهاجي 405-419هـ رابع أبناء بلكين وأمراء بن حماد، نشأ في الخلافة الفاطمية في المغرب كانت ولايته قبل تولي أبيه بلكين حكم المغرب من قبل الفاطميين سنة 361هـ، وبعد سنوات ربما في أعوام 353هـ أو 354هـ، تلقى فنون القتال في قصر الخلافة الفاطمية[3].

[1] عبد الغني حروز، قلعة بني حماد من خلال المصادر والمراجع التاريخية، المرجع السابق. ص 7.

[2] ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر، المصدر السابق, ص 228.

[3] عادل نويهض , معجم أعلام الجزائر, ج1, مؤسسة نويهض , بيروت لبنان, د ط, 1980 , ص-ص 122-123

وبنى القلعة في سنة 398هـ، ونقل إليها الناس من سائر البلاد وقام بتمصيرها عام 400هـ، وعمد بعدها إلى تحصين القلعة بتشييد الأسوار وبناء المساجد كما استطاع القضاء على زناتة،كما كان أول فقهاء مدينة القلعة الذي تعلم في القيروان وأخذ الفقه عن شيوخها ونظر في كتب الجدل وما أورده ابن الخطيب (ت 779هـ / 1374م) على تأكيد المذهب الذي كان يتبعه حماد [1]

تكوينه العلمي.

لم تصلنا معلومات كثيرة عن التكوين العلمي لحماد بن بلكين، لكن الغالب أنه تلقى بعض العلوم التي كانت رائجة في ذلك العصر، وخاصة العلوم الفقهية، حيث لم يعرف الكثير عن تفاصيل حياته قبل ظهوره على مسرح التاريخ، وكل ما وصلنا هو أنه درس الفقه في القيروان ونظر في كتب الجدل[2]

يتضح من خلال ما سبق أن قلعة بني حماد لم تكن مجرد مدينة محصنة أو مركزًا إداريًا للدولة الحمادية، بل شكلت نموذجًا حضاريًا يعكس التقدم العمراني والسياسي الذي بلغته المنطقة خلال تلك الفترة. فقد استطاع الأمير حماد بن بلكين، بفضل حنكته السياسية واطلاعه العلمي، أن يؤسس نواة صلبة لدولة مستقلة عن الزيريين، مستفيدًا من موقع القلعة المنيع، ومن توافد السكان والعلماء إليها. وقد أسهمت هذه القلعة في ترسيخ هوية حضارية مميزة في تاريخ الجزائر الإسلامي، لا تزال آثارها شاهدة على ذلك المجد رغم زوال الدولة وزحف الزمن

[1] ابن الخطيب لسان الدين، تاريخ المغرب في العصر الوسيط: القسم الثاني من كتاب أعمال الأعلام، تح محمد بن شريفة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 1، 1997، ص 134.

[2] عبد الحليم عوس، دولة بني حماد: صفحة رائعة في التاريخ الجزائري، دار الوفاء، الإسكندرية، ط 2، 1991، ص 59.

الفصل الأول أسباب وعوامل ازدهار الحياة العلمية في قلعة بني حماد

الفصل الأول: أسباب و عوامل ازدهار الحياة العلمية في قلعة بني حماد.

المبحث الأول: الدوافع السياسية

المطلب الأول: اسهامات الامراء و الحكام في دعم الحركة العلمية

المطلب الثاني: الاستقرار السياسي و تاثيره في تشجيع العلماء و الطلبة

المبحث الثاني: الدوافع الاقتصادية و الثقافية

المطلب الأول: الازدهار الاقتصادي و دو ره في تمويل المؤسسات العلمية

المطلب الثاني: التبادل التجاري و تاثيره في نقل المعارف و الأفكار

المطلب الثالث: القيم الثقافية و الدينية المشجعة على طلب العلم

شـهدت قلعة بني حماد ازدهارا علميا كبيرا خلال فترة حكم الحماديين، حيث تحولت إلى مركز ثقافي وعلمي بارز في المغرب الأوسـط ويعود هذا الازدهار إلى عدة عوامل أهمها الاسـتقرار السـياسـي الذي وفر بيئة مناسـبة لنشاط العلماء والمفكرين.

كما لعبت القلعة دورا مهما في التبادل الثقافي بفضـــل موقعها الاســـتراتيجي على طرق القوافل التجارية وساهم دعم الدولة للعلم والعلماء من خلال إنشاء المساجد و الزوايا والمكتبات في تطور الحركة الفكرية، إضافة إلى ذلك اسـتقطبت القلعة عددا من العلماء البارزين من مختلف الأقطار الإسـلامية وهذا التفاعل الثقافي أغنى الحياة العلمية وأسهم في انتشار العلوم والمعارف في مختلف المجالات مثل الفقه والطب والفلك.

المبحث الأول: الدوافع السياسية

كان للاستقرار السياسي في قلعة بني حماد أثر كبير في تنشيط الحركة العلمية، فقد وفر الحاكم الحمادي بيئة آمنة جذبت العلماء والطلبة من مختلف الأقاليم وقد ساهم الأمراء والحكام بشكل مباشر في دعم العلم من خلال تأسيس المساجد و الزوايا و المكتبات وتوفير الدعم المادي للعلماء، كما أسهمت علاقات القلعة مع المراكز العلمية الأخرى في تبادل المعارف وتعزيز الحركة الفكرية وهذا التفاعل السياسي والعلمي جعل من قلعة بني حماد مركزا مشعا للعلم والثقافة في المنطقة.

المطلب الأول: إسهامات الأمراء والحكام في دعم الحركة العلمية

لعب الأمراء والحكام الحماديون دورا مركزيا في ازدهار الحركة العلمية في قلعة بني حماد فقد أدركوا منذ تأسيس دولتهم أن ازدهار العلم والمعرفة يشكل أساسا ضروريا لتقوية الحكم وتوسيع نفوذ الدولة وتعزيز مكانتها الحضارية في المنطقة ,حيث إجتهد الامير حماد بن بلكين (398_419هـ /1007_1029) في تعمير الدولة الحمادية وأكثر فيها المساجد ومن بين هذه المساجد المسجد الكبير ومسجد المنار[1], وعملوا على تشجيع العلماء والمفكرين والفقهاء والمؤرخين والأدباء وفتحوا أمامهم أبواب القصور وأكرموهم وعاملوهم بمكانة خاصة[2].

كما وفروا لهم منابر للتدريس والحوار والنقاش العلمي الرصين ,ولم يكن هذا الدعم شكليا أو رمزيا بل كان فعليا ومستمرا إذ خصص الحكام أوقافا معتبرة لصالح المساجد و الزوايا و المكتبات العامة وحرصوا على تزويدها بأفضل الكتب والمخطوطات التي كانت تجلب من المشرق والمغرب الإسلامي بل إن بعض الحكام كانوا يشرفون بأنفسهم على اختيار الكتب التي تدخل إلى خزائنهم ويقال إنهم كانوا يحضرون بعض الدروس العلمية في بلاطهم للاستفادة من علوم الفقه واللغة والفلك والتاريخ والفلسفة وغيرها من المعارف[3].

---

[1] عبد الناصر الأخضري , التعليم في الدولة الزيانية والحمادية دراسة مقارنة (160_547هـ/776_1142م), م\كرة ماستر تاريخ وحضارة المغرب الاوسط, إشراف ابراهيم باكير بحاز ,جامعة غرداية , 2015/2014, ص 39.

[2] يوسف بن أحمد حوالة، الحياة العلمية في أفريقيا 90/450هـ، ج1، جامعة أم القرى، السعودية، ط1، 2000م، ص 201.

[3] عصام الدين عبد الرؤوف الفقي، تاريخ الفكر الإسلامي، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 1997م، ص 182.

ومن أبرز الأمثلة على دعمهم للعلم أن بعضهم أمر ببناء المساجد و الزوايا و المكتبات والقصور ومن بينهم الامير الناصر علناس (456_488هـ /1064-1088م) الذي كان محبا للعلم مشجعا لأهله , وحذا حذوه ابنه المنصور (481_498 هـ /1088_1104م) وتفوق عليه في مجال البناء والتشيد , فبناء في القلعة قصر الملك , قصر المنار , قصر الكوكب و قصر السلام , وجعل فيها المجالس العلمية للمناظرة والمحاورة في مسائل الفقة والادبية بين الشعراء والفقهاء وكبار علماء القلعة[1], والمساجد والزوايا المتخصصة في تعليم الفقه المالكي والقراءات القرآنية وعلوم اللغة وكانوا يستقدمون خيرة العلماء من الأندلس والقيروان وفاس وتلمسان ومن مدن المشرق مثل بغداد والقاهرة ودمشق وأقاموا لهم سكنا مريحا ورواتب منتظمة ليتمكنوا من التفرغ للبحث والتعليم والنقاش العلمي[2], ومن العلماء

_ أبو محمد عبد الله ابن خليفة القرطبي المعروف بالمصري شاعر وأديب وصل القلعة أيام حكم الامير بلكين ابن محمد ابن محمد ابن حماد (447_454 هـ /1055_ 1062م)[3]

_ ابن رشيق القيرواني من ابرز أدباء الدولة الحمادية على الرغم من أنه ولد في القيروان , فقد انتقل الى قلعة بني حماد بعد سقوط القيروان أمام بني هلال , واشتهر ابن رشيق بالشعر ونقده الأدبي ,وكتابه (العمدة في صناعة الشعر ونقده) الذي يعتبر مرجع أساسيا في النقد الأدبي العربي , وكان من أبرز أعلام الأدب في البلاط الحماديين[4].

كما أن عددا من هؤلاء العلماء مثل :

[1] عبد العزيز الفيلالي ,قلعة بني حماد الحضارة الإقتصادية والثقافية للمغرب الأوسط خلال القرن الخامس الهجري و 11الملادي ,مجلة العلوم الانسانية ,ع 7,كلية الاداب والعلوم الانسانية , جامعة الامير عبد القادر للعلوم الاسلامية , قسنطينة ,2006, ص_ص17_18.

[2] حسن أحمد حضيري ، علاقات الفاطميين في مصر بدول المغرب، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط1، 1996م، ص 155.

[3] نور الهدى التونسي , سمية السبع , الشعراء في المغرب الاوسط خلال القرون (6_10 هـ) , مذكرة ماستر تاريخ وحضارة المغرب الوسيط ,اشراف باكير بوعروة , جامعة غرداية , 2018/2017, ص 9.

[4] طيب اسماعيل , الدولة الحمادية (404_547هـ/1014_1152م), 2021/2020,ص9.

أبو الفضل يوسف بن محمد بن يوسف المعروف بابن النحوي (433_ 513هـ / 1041_ 1119م) هو من مدينة توزر بالجنوب التونسي درس بمسقط رأسه ثم إنتقل الى القيروان ثم الى القلعة واستقر بها ,و قد كان عالما في أصول الدين والفقه يميل الى النظر والإجتهاد

_ أبو عبد الله محمد ابن فرج المازري المعروف بالذكي وهو صقلي الأصل سكن قلعة بني حماد ثم رحل الى المشرق وكان عالما وفقيها من مؤلفاته كتاب في القرآن سماه (الإستلاء)[1]

الذين استقروا بشكل دائم في القلعة وأسهموا في تعليم أجيال من الطلبة الذين أصبحوا بدورهم علماء وقادة في مجالات متعددة وهذا ما خلق سلسلة مستمرة من الإنتاج المعرفي والعلمي داخل القلعة وإلى جانب ذلك اهتم الأمراء الحماديون بالمكتبات وأولوا لها عناية خاصة فأنشأوا مكتبات عامة وأخرى خاصة بالبلاط وكانت تحتوي على كتب نادرة في التفسير والحديث والفقه والطب والفلك والحساب والمنطق وعلوم اللغة والأدب وقد استعان الحكام بكتاب ومترجمين لنقل المؤلفات من لغات أخرى كاللاتينية واليونانية والفارسية إلى العربية ما يدل على انفتاحهم على الثقافات المختلفة وحرصهم على تنمية المعرفة وتوسيع آفاقها[2].

كما لعبت مجالس الحكام التي كانت تعقد في القصور دورا هاما في تنشيط الفكر والحوار فقد كانت هذه المجالس تضم فقهاء وعلماء وشعراء وفلاسفة يشاركون في نقاشات علمية وأدبية وفكرية بإشراف مباشر من الأمير وكانت هذه المجالس مفتوحة للأفكار الجديدة وتحتكم إلى منطق الحجة والدليل ,ما شجع على تنمية العقل النقدي والانفتاح المعرفي في بيئة علمية راقية تتسم بالحرية والنزاهة الفكرية[3].

وفي إطار دعمهم للحركة العلمية كان بعض الأمراء يقومون برحلات علمية إلى مراكز معروفة مثل القيروان وقرطبة والقاهرة ويعودون بكتب وعلماء وتجارب جديدة تنقل إلى قلعة بني حماد, مما ساهم في إبقاء القلعة على

[1] عبد الناصر الأخضري , المرجع السابق ,ص,ص 46,47,48

[2] عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 252.

[3] عبد الفتاح مقلد الغنيمي، موسوعة تاريخ الغرب العربي، ج4، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط1، 1994م، ص 339.

اتصال مستمر بالمراكز الفكرية الكبرى في العالم الإسلامي آنذاك ,وكانت هذه العلاقات العلمية تقوي الروابط بين قلعة بني حماد وباقي الحواضر وتجعل منها نقطة وصل بين المغرب والمشرق في المجال العلمي[1].

من جهة أخرى أولى الحكام عناية خاصة بالتعليم في المراحل الأولى فنظموا الكتاتيب وشجعوا تعليم القرآن الكريم والخط والحساب, وكانوا يحرصون على تعليم أبناءهم العلم منذ الصغر بل كانوا يرسلون أبناءهم للدراسة عند كبار العلماء ليكتسبوا الفقه والمعرفة ,وهو ما يؤكد إيمانهم بقيمة العلم وأثره في بناء الشخصية القيادية والإدارية والثقافية للحاكم[2].

كما حرص بعض الحكام على توثيق العلوم والآراء العلمية التي كانت تطرح في المجالس جراء تدوين عدد من هذه الأفكار في مؤلفات حفظها الزمن وقد وجدت بعض هذه الكتب في مكتبات المشرق والأندلس ,ما يدل على أن تأثير قلعة بني حماد العلمي تجاوز حدودها الجغرافية وانتقل إلى بقاع أخرى[3].

ولم يقتصر دعم الأمراء على العلوم الدينية فقط بل شمل أيضا العلوم العقلية والتطبيقية كالفلك والطب والهندسة والرياضيات والفلسفة حيث استقدموا المتخصصين في هذه المجالات وشجعوا الطلبة على تعلمها, بل ومارسها بعض الحكام بأنفسهم وكانوا مهتمين برصد النجوم ومعرفة الظواهر الطبيعية وتطوير أساليب الزراعة والهندسة العمرانية[4].

ومن الملاحظ أن هذا التوجه نحو دعم العلم لم يكن نتيجة ضغط خارجي أو تقليد لغيرهم, بل نابع من وعي عميق بقيمة المعرفة وأثرها في تطوير الدولة والمجتمع وقد انعكس ذلك على مختلف مظاهر الحياة في القلعة سواء من خلال العمران أو من خلال انتشار المساجد والكتاتيب والمكتبات وارتفاع مستوى الوعي لدى السكان[5].

---

[1] جورج القدسي، نشأة الكليات – معاهد العلم عند المسلمين في الغرب، تر :محمود السيد محمد، مركز النشر العلمي، جدة، المملكة العربية السعودية، ط1، 1994م، ص 31-32.

[2] التميمي أبي عبد الله محمد بن عبد الكريم، الاستفاد في مناقب العباد بمدينة فاس وما يليها من البلاد، تح :محمد الشريف، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، تطوان، د ط ,2002م، ص-ص 172-173.

[3] مبارك الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، تق: محمد الميلي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د ط, 1406هـ / 1986م, ص223.

[4] عبد الحليم عويس، المرجع السابق.ص52.

[5] حمزة ن زيان ، "قلعة بني حماد بالمسيلة .. عبث العنصر البشري ونسيانه، أكثر من 1000 سنة في مغازلة التاريخ"، تق: موقع الأمة العربية، د م,دط,2009م.ص93.

كما أسـهم الدعم العلمي الذي وفره الحكام في خلق طبقة علمية راقية داخل القلعة حيث نشـأ مجتمع من العلماء والطلبة والمثقفين الذين أسـهموا في تدوين التاريخ وتفسـير القرآن ووضـع القواعد الفقهية واللغوية وكانوا مرجعا علميا لمناطق أخرى يلجأ إليها من أراد الفتوى أو طلب العلم أو الاستشارة في قضايا فكرية وأدبية[1].

وهكذا يتضـح أن دعم الأمراء والحكام في قلعة بني حماد لم يكن أمرا هامشـيا أو عرضـيا بل كان سـياسـة مدروسـة هدفها بناء دولة قوية على أسـس معرفة راسـخة وقد نجحوا في ذلك إلى حد بعيد ,إذ أصـبحت القلعة منارات للعلم يشـهد لها المؤرخون ويعود إليها الباحثون إلى اليوم باعتبارها نموذجا مشـرفا للنهضـة العلمية في العالم الإسلامي[2].

المطلب الثاني: الاستقرار السياسي وتأثيره في تشجيع العلماء والطلبة

للاستقرار السياسي في قلعة بني حماد أثر عميق في تشجيع العلماء والطلبة على الإقبال على العلم والمساهمة في ازدهار الحركة الفكرية داخل القلعة, فقد وفر هذا الاستقرار جوا من الأمن والثقة سمح للعلماء بممارسة نشاطهم بحرية دون خوف من الحروب أو الاضـطرابات, وهو ما جذب عددا كبيرا من الفقهاء والمفكرين من مناطق بعيدة اختاروا قلعة بني حماد مقرا لهم بسـبب ما لمسـوه من تقدير للعلماء واحترام للمعرفة كما أن الطلبة وجدوا في هذه البيئة السياسية المستقرة فرصة مثالية للتفرغ للدراسة والتحصيل العلمي دون أن تعيقهم ظروف أمنية أو اجتماعية غير مواتية[3].

ولم يقتصـر تأثير الاسـتقرار السـياسـي على الجانب الإداري فحسـب, بل انعكس أيضـا على العلاقات الاجتماعية والثقافية داخل القلعة حيث سـاد الاحترام بين الطبقة الحاكمة والنخبة العلمية ما عزز من مكانة العلماء وجعلهم شركاء في التخطيط الحضاري والثقافي للدولة, وقد كان الحاكم الحمادي غالبا ما يستشير العلماء

[1] بول بلانشي، 1897م؛ القائد دي بيلي، 1908م؛ لوسيان قولفين، 1962/1960/1956/1952/1951م. ،ينظر: رمزي فرشيشي ،عائشةحدفي ،تاريخ ومستقبل الابحاث الاثرية بموقع القلعة بني حماد ،مجلة الدراسات الاثرية ،مج 22، ع1،جامعة الجزائر ،2024,ص_ص113_125.

[2] أحمد أمين، ضحى الإسلام – نشأة العلوم العقلية في العصر العباسي الأول، ج2، دار الكتاب العربي، بيروت، د ط، د.س, ص 52.

[3] رابح بونار، المغرب العربي تاريخه وثقافته، طاقم الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د ط, 1981م، ص 187.

في شـــؤون الحكم ويمنحهم مكانة مرموقة ضـــمن البلاط الرسمي[1], حيث اســـتطاع الامير الناصـــر بن علناس (454_481 هـ / 1062_1089م) أن ينهض بالعلوم والمعرفة فصب جهوده في تشجيع العلماء واستقطاب المفكرين ,فكان يقدمهم عن سائر الطبقات ويجود عليهم بالعطاء ,ويعتبر الناصر أطول ملوك بنو حماد باعا في هذا المضمار[2]

هذا التمازج بين الأمن السياسي والدعم المعنوي والمادي للعلم أسهم في خلق نهضة علمية مزدهرة استمرت لسنوات طويلة وجعل من قلعة بني حماد وجهة يقصدها طلبة العلم من مختلف مناطق المغرب الإسلامي وحتى من الأندلس والمشرق بحثا عن بيئة مستقرة توفر لهم سبل التعلم والتطور والمشاركة في صناعة الفكر والمعرفة[3].

[1] أنيسة بركات، محاضرات و دراسات تاريخية وأدبية حول الجزائر، منشورات المتحف الوطني للمجاهدين، الجزائر، 1995م، ص 27.

[2] فاطيمة شيابني ,الدولة الحمادية في عهد الناصر بن علناس (454_481هـ/1062_1089م),مذكرة ماستر في التاريخ الاسلامي في العصر الوسيط , اشراف بورملة عربية , جامعة تيارت ,2021/2020,ص71.

[3] حسين مؤنس، تاريخ المغرب وحضارته من قبل الفتح العربي إلى بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر من القرن الأول إلى القرن 19م، العصر الحديث للنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1992م، ص 173.

المبحث الثاني: الدوافع الاقتصادية والثقافية

لعب الازدهار الاقتصادي دورا محوريا في دعم المؤسسات العلمية في قلعة بني حماد، حيث وفرت الموارد المالية اللازمة لتشييد المدارس والمكتبات، كما ساعد التبادل التجاري مع مناطق مختلفة في نقل المعارف والأفكار الجديدة ,ومن جهة أخرى شكلت القيم الثقافية والدينية حافزا كبيرا لطلب العلم، حيث كان طلب العلم يعد من الفضائل المحمودة, وهذه العوامل مجتمعة أسهمت في تنمية الحركة العلمية وازدهارها في القلعة.

المطلب الأول: الازدهار الاقتصادي ودوره في تمويل المؤسسات العلمية

لقد شكل الازدهار الاقتصادي الذي عرفته قلعة بني حماد إحدى الركائز الأساسية التي ساهمت في بناء نهضة علمية حقيقية تجاوز إشعاعها حدود الإقليم, فقد تميزت الدولة الحمادية بسياسات اقتصادية ذكية اعتمدت على تنمية الموارد المحلية واستغلال الموقع الجغرافي للقلعة في ربط مسارات القوافل القادمة من الجنوب الصحراوي والمتجهة نحو الشمال الساحلي وهو ما منحها قدرة استثنائية على التحكم في حركة السلع والبضائع بين إفريقيا الداخلية وحوض البحر المتوسط ,ومن خلال هذا التموقع تمكنت الدولة من تحصيل أرباح ضخمة استثمرت جزءا كبيرا منها في بناء مؤسسات معرفية متقدمة[1].

ولم يقتصر الأمر على تمويل مشاريع عمرانية بل شمل أيضا تغطية الجوانب التشغيلية للمؤسسات التعليمية ,حيث كانت المدارس والمساجد تتلقى دعما مستمرا يمكنها من توفير حاجياتها دون أن تضطر إلى فرض أي رسوم على المتعلمين ,وهذا ما شجع أبناء مختلف الطبقات الاجتماعية على طلب العلم وساهم في جعل التعليم مفتوحا أمام الجميع دون تمييز ,وقد مكن ذلك من بروز نخب علمية محلية تشكلت في كنف هذه المؤسسات ومثلت رصيدا فكريا مهما للقلعة ولدول الجوار[2].

[1] عبد الفتاح مقلد الغنيمي، المرجع السابق .ص71.

[2] ابن خلدون، كتاب العبر و ديوان المبتدأ و الخبر أيام العرب و العجم و البربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، المصدر السابق,ص121.

كما أتاح الازدهار المالي للحماديين إمكانية التعاقد مع أبرز العلماء والفقهاء الذين كانوا يشـــترطون رواتب محترمة وظروف إقامة مريحة قبل أن يقبلوا الدعوة إلى التدريس أو الإقامة في قلعة بني حماد ,وقد وفرت الدولة كل تلك الشـــروط بل تجاوزتها أحيانا من خلال منح العطاءات وتخصـــيص الإقامات الفاخرة لهؤلاء العلماء ما جعل القلعة وجهة مفضلة للعديد منهم وموطنا دائما للإبداع العلمي والمشاركة في النقاشات الفكرية الرصينة ,ومن أبرز صور الاستفادة من الرخاء الاقتصادي أيضا قيام الدولة الحمادية بتمويل النساخ والوراقين والمهتمين بحفظ التراث المكتوب ,فقد أنشئت دور للنسخ مزودة بما يلزم من أدوات ومواد وأجور مغرية لهؤلاء النساخ الذين كانوا ينسخون الكتب النادرة ويعيدون توزيعها على خزائن القلعة أو يهيمون بها في الأسواق العلمية مما ساعد على توسيع دائرة تداول المعرفة ورفع نسـبة الاطلاع والبحث داخل أوسـاط الطلبة والعلماء[1],وكذلك كان للأنشـطة الاقتصـادية التجارية أثر كبير في إدخال علوم ومعارف من خارج البلاد ,حيث كانت الأسـواق الحمادية تسـتقبل تجارا قادمين من المشرق والمغرب يحملون معهم مخطوطات ومؤلفات حديثة وطرقا جديدة في التدريس أو الأفكار الفلسفية التي راجت في بيئاتهم, وقد تم تبادل هذه الكتب والمفاهيم مقابل سلع محلية ثمينة مما حول السوق إلى قناة ثقافية نشيطة وليس مجرد فضاء للبيع والشراء[2].

كما سـاعد الاسـتقرار الاقتصـادي في تحقيق نوع من الاسـتقلال المالي للمؤسـسـات العلمية عن تقلبات السياسية والتمويل الخارجي, فقد أصبح للمدارس أوقافها ومصادرها الذاتية التي تضمن استمرارية نشاطها حتى في فترات الأزمات العابرة, وهذا النوع من الاستقلال أعطى للعلماء حرية أكبر في إبداء آرائهم وتطوير مناهجهم دون تدخل مباشـر من السـلطة أو ضـغط من جهات تمويل خارجية ومن جهة أخرى فإن البيئة الاقتصـادية المزدهرة خلقت فئة من التجار والمموّلين الذين أصبحوا حريصين على تمويل حلقات العلم ودعم الطلبة النجباء بدافع ديني وثقافي في آن واحد ,حيث كان ينظر إلى هذا الدعم باعتباره صـدقة جارية ووسـيلة للتقرب إلى الله, وهو ما أدخل

[1] ابن خلدون، كتاب العبر ,المصدر السابق،ص_ص121-122.

[2] رشيد بورويبة، الدولة الحمادية تاريخها و حضارتها، ديوان المطبوعات الجامعية ,الجزائر ,دط ,1977,ص14.

المؤسسات العلمية في نسيج المجتمع الاقتصادي وجعلها جزءا من اهتمام التجار والأعيان الذين شاركوا في توسيع بناياتها وتجهيز مكتباتها وتنظيم رحلات علمية إلى المراكز الكبرى.

كما ساعدت هذه النهضة الاقتصادية على تأمين طرق السفر والبعثات العلمية بين قلعة بني حماد والمدن الأخرى وهو ما شجع تبادل الأساتذة والكتب وفتح المجال أمام رحلات علمية متعددة الاتجاهات, ولم تكن هذه العلاقات منفصلة عن النشاط الاقتصادي بل كانت في أغلب الأحيان متداخلة معه ,حيث كان التاجر يسافر ببضاعته ويعود بمخطوطة أو نسخة نادرة يسلمها إلى أحد العلماء في القلعة ,وقد انعكست هذه الحيوية الاقتصادية أيضا على ازدهار الفنون المعمارية المستخدمة في تشييد المدارس والزوايا والتي استُخدمت فيها أفضل المواد وأحدث الأساليب الفنية ما جعل هذه المؤسسات جذابة من حيث البنية والتجهيز ومهيأة لاستقبال أعداد كبيرة من المتعلمين ,مما ساهم في ترسيخ مكانة قلعة بني حماد كحاضنة للعلم ومركز حضاري متكامل يجمع بين المعرفة والتنظيم والازدهار المادي.

إن هذا التلاحم العميق بين المال والعلم في قلعة بني حماد يكشف عن وعي حضاري نادر بأهمية الاستثمار في العقول إلى جانب العناية بالأسواق ويثبت أن الازدهار الاقتصادي لم يكن هدفا بحد ذاته بل وسيلة لبناء مجتمع مثقف واع يسهم في تطور الدولة ويضمن استمرارها عبر الأجيال. [1]

[1] عادل نويهض, المرجع السابق ,ص232.

المطلب الثاني: التبادل التجاري وتأثيره في نقل المعارف والأفكار

لعب التبادل التجاري دورا جوهريا في دعم الحياة العلمية في قلعة بني حماد من خلال مساهمته الفعالة في نقل المعارف والأفكار بين الشـــعوب والمراكز الحضـــارية المختلفة, فقد كانت القلعة نقطة عبور إســـتراتيجية للتجار القادمين من الصـحراء الكبرى وبلدان المغرب والمشـرق وبلاد الأندلس وحتى مناطق إفريقيا جنوب الصـحراء وكان هؤلاء التجار لا يحملون فقط البضـائع والسـلع بل يرافقهم أيضـا كم هائل من القصـص والخبرات والمفاهيم الجديدة التي اكتســبوها من رحلاتهم المتنوعة واحتكاكهم بشــعوب ومجتمعات مختلفة وقد تحولت الأســواق الحمادية إلى فضــاءات فكرية حيوية تتجاوز وظائف البيع والشــراء ,حيث كان التجار يلتقون بالعلماء ويتبادلون معهم الأخبار والكتب والمخطوطات وطرق التدريس المتبعة في البلدان الأخرى ,مما وفر للعلماء المحليين مصـــدرا غنيا للمعلومات المســـتجدة وأتاح لهم الاطلاع على ما يدور في الســـاحة الفكرية خارج حدود قلعتهم ,ومن خلال هذا التفاعل النشيط برزت ثقافة علمية منفتحة استوعبت الاتجاهات المختلفة وسمحت بإدماج تجارب علمية متنوعة في النسـق المحلي[1].

كما أن العديد من المؤلفات والمخطوطات التي وصلت إلى قلعة بني حماد لم تأت عبر قنوات رسمية أو بعثات علمية بل جاءت ضـمن شـحنات تجارية أو هدايا بين التجار والعلماء أو في حقائب المسـافرين ما جعل النشـاط التجاري قناة فعالة لنقل المعرفة غير الرسمي ,وســـاهم في تعزيز تنوع المكتبات داخل القلعة إذ شملت كتب في الفقه والفلســـفة والطب والفلك والأدب وغيرها من المجالات التي كانت رائجة في مراكز الحضـــارة الإســـلامية الكبرى وســاعد التبادل التجاري أيضــا على نشــر أدوات علمية جديدة وتقنيات حديثة تم تطويرها في مناطق أخرى مثل :أدوات القياس والرصـد الفلكي أو آلات النسـخ المتقدمة والتي كان يتم اقتناؤها من الأسـواق ثم استخدامها داخل المؤسسات العلمية الحمادية ما ساهم في تحسين أداء تلك المؤسسات والرفع من كفاءة البحث والتدريس فيها[2].

[1] عثمان الكعاك، موجز التاريخ العام للجزائر من العصر الحجري إلى الاحتلال الفرنسي، تق :أبو القاسم سعد الله وآخرون، دار الغرب الإسلامي، د ط ,1999.ص28.

[2] منير البركاني، قلعة بني حماد الحاضرة والحضارة، منشورات جمعية اليقين الحضاري، المسيلة،د ط, 1995.ص41.

وقد كان للتجار المتعلمين دور خاص في هذه العملية إذ لم يكونوا مجرد وسطاء في نقل الأفكار, بل كانوا في أحيان كثيرة يساهمون بأنفسهم في الحوارات الفكرية ويشاركون في المجالس العلمية التي تعقد في المساجد أو المدارس كما أن بعضهم ساهم في تأسيس خزائن كتب أو دعم طباعة المؤلفات ونسخها ,وهو ما يعكس تداخل العوامل التجارية والعلمية في تشكيل مشهد فكري ديناميكي داخل القلعة.

كما أن هذا التبادل المتواصل أدى إلى إغناء اللغة المحلية بمصطلحات علمية وتقنية جديدة واستحداث مفاهيم فكرية لم تكن مألوفة من قبل, وهو ما ساعد على تطور التعبير العلمي وتوسيع آفاق البحث خاصة في مجالات الفلسفة والمنطق وعلوم الطبيعة التي كانت تعتمد على تداخل المصطلحات الدقيقة والمفاهيم المركبة ولقد ساهم التبادل التجاري إذن في خلق فضاء فكري مفتوح وديناميكي بفضل ما جلبه من أفكار ومخطوطات وأدوات ومعارف وتجارب متنوعة عززت البنية العلمية في قلعة بني حماد ومكنت من تطوير مؤسساتها التربوية والمعرفية ومنحها موقعا متميزا في خارطة المراكز العلمية في العالم الإسلامي[1].

[1] البكري ,المصدر السابق ,ص69.

المطلب الثالث: القيم الثقافية والدينية المشجعة على طلب العلم

لعبت القيم الثقافية والدينية دورا محوريا في ترسيخ مكانة العلم داخل قلعة بني حماد حيث شكلت هذه القيم الأساس الأخلاقي والاجتماعي الذي شجع على السعي وراء المعرفة وطلبها في جميع الميادين, فقد كان المجتمع الحمادي مشبعا بتعاليم الدين الإسلامي الذي اعتبر العلم فريضة وأعلى من شأن العلماء ووضعهم في مرتبة رفيعة داخل السلم الاجتماعي ,استنادا إلى النصوص الشرعية التي تحث على التعلم وتكريم أهله مثل الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي جعلت من طلب العلم عبادة ومن نشره صدقة جارية[1].

وقد انعكس هذا التصور في سلوك الأفراد والعائلات حيث أصبح تعليم الأبناء أولوية لدى مختلف الطبقات الاجتماعية من الأغنياء إلى عامة الناس, بل إن كثيرا من العائلات كانت تتباهى بعدد حفظة القرآن أو طلاب العلم المنتمين إليها واعتبر الإنفاق على التعليم من أبواب البر والإحسان ومن وسائل نيل الحظوة الدينية والسمعة الطيبة في الدنيا والآخرة[2].

كما ساهمت البيئة الثقافية العامة في تثبيت مكانة العلماء كمرجعية فكرية وروحية إذ لم يقتصر دورهم على التدريس بل تجاوزوه إلى الإفتاء والقضاء والوعظ والتوجيه الاجتماعي ,وهو ما منحهم نفوذا معنويا واسعا جعل الناس يثقون بآرائهم ويلتفون حولهم طلبا للهداية والعلم ,وكان ذلك من أبرز العوامل التي دفعت الشباب إلى التوجه نحو حلقات العلم والمشاركة في المجالس العلمية التي كانت تنظم في المساجد والزوايا والمدارس بشكل دوري ومن جهة أخرى فإن الطابع الصوفي الذي طبع الحياة الدينية في القلعة شجع بدوره على التعلم خصوصا أن الطرق الصوفية كانت تنشر أدبيات تحث على الجمع بين السلوك الروحي والعلوم الشرعية والعقلية, وقد شكلت الزوايا الصوفية مراكز تعليمية مهمة تستقطب الراغبين في طلب العلم إلى جانب تهذيب النفس وتطوير الأخلاق وكان

[1] محمد الطمار، الروابط الثقافية بين الجزائر و الخارج، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع،دم ,دط, 1983.ص58.

[2] الإدريسي، المصدر السابق,ص32.

المشايخ الصوفيون بدورهم أهل علم وتدريس لا يقتصرون على الجانب الروحي بل كانوا يدرسون الفقه والتفسير والمنطق والأدب[1].

أما في المجال الثقافي العام فقد اعتبر العلم من عناصر الرفعة والكرامة في المجتمع حيث ارتبطت الثقافة بالقوة الرمزية لا بالثراء المادي وكان يقال إن من يجلس في مجلس علم يعلو مقامه على من يجلس على العرش دون علم وقد ساعد هذا التصور على خلق حافز داخلي قوي لدى الأفراد لتحصيل المعرفة بغض النظر عن غاياتها الاقتصادية أو الاجتماعية المباشرة[2].

كما كانت المناسبات الثقافية والدينية مثل الأعياد والمواسم العلمية مناسبات لتكريم العلماء والاحتفاء بالطلبة المتميزين ,مما زاد في تعزيز قيمة التعلم في وعي المجتمع الحمادي وخلق تنافسا شريفا بين الأسر والقبائل في إرسال أبنائهم إلى مدارس القلعة أو تشجيعهم على الرحلة في طلب العلم نحو المراكز الأخرى ثم العودة لخدمة مجتمعهم.

لقد مثلت هذه القيم حافزا معنويا قويا جعل من قلعة بني حماد بيئة مناسبة لازدهار التعليم واحتضان الحركة العلمية في مختلف أبعادها وهي القيم التي ساهمت بشكل كبير في بناء مجتمع متماسك يقوم على المعرفة ويرى في العلم وسيلة للارتقاء الروحي والاجتماعي في آن واحد.[3]

[1] سليمان عشراتي، الشخصية الجزائرية، بانو ارما المشهد الحضاري لميلاد الدولة الحمادية، ج2، دار الغرب للنشر و التوزيع، الجزائر، د ط, 2002، ص 111.

[2] محمد بن عميرة، ,القلعة قاعدة بني حماد الثقافية الأولى, حولية المؤرخ، اتحاد المؤرخين الجزائريين، ع 1، الجزائر، 2002، ص 106.

[3] رشيد بورويبة، مدن مندثرة، سلسلة فن وثقافة، وزارة الإعلام و الثقافة، الجزائر،د ط, 1992, ص93.

يتضح من خلال ما سبق أن قلعة بني حماد لم تكن مجرد حصن عسكري بل شكلت مركزا حضاريا نابضا بالحياة العلمية والثقافية وساعدت الظروف السياسية المستقرة ودعم الحكام للعلماء في خلق مناخ ملائم لازدهار المعرفة.

كما ساهمت العوامل الاقتصادية في تمويل الأنشطة العلمية وتوفير الموارد اللازمة لتطوير المؤسسات التعليمية ومن جهة أخرى، كان للتبادل التجاري والثقافي دور بارز في إثراء الحركة الفكرية ونقل المعارف من وإلى القلعة وقد انعكست القيم الثقافية والدينية للمجتمع الحمادي في تقديرهم للعلم وتشجيعهم على طلبه وهذا التداخل بين السياسة والاقتصاد والثقافة ساعد في بناء نهضة علمية متميزة في قلعة بني حماد فكانت نموذجا فريدا يجمع بين القوة والعلم في آن واحد.

الفصل الثاني مظاهر الحياة العلمية في قلعة بني حماد

الفصل الثاني مظاهر الحياة العلمية في قلعة بني حماد

المبحث الأول: المؤسسات التعليمية

- المطلب الأول: المسجد والزوايا
- المطلب الثاني: المكتبات وبيوت العلماء
- المطلب الثالث: الكتاتيب

المبحث الثاني: العلوم التي ازدهرت في قلعة بني حماد

- المطلب الأول: العلوم التقلية
- المطلب الثاني: العلوم العقلية

تعد الحياة العلمية من أبرز سمات ازدهار الحضـارات، إذ تعكس مدى اهتمام المجتمعات بالمعرفة والثقافة وقد شهد العالم الإسلامي خلال العصور الوسطى نشاطا علميا واسعا شمل مختلف الفنون والعلوم وكانت المدن الكبرى مراكز إشـــعاع علمي اســـتقطبت العلماء والطلاب من مختلف الأقطار ومن بين هذه المدن، برزت العديد من الحواضر في المغرب الإسلامي التي أسهمت بدور فعّال في النهوض بالحياة الثقافية ومن هذه الحواضر قلعة بني حماد التي أصبحت ملتقى للعلماء وطلبة العلم.

اكتسبت قلعة بني حماد مكانة علمية مرموقة بفضل ما وفرته من مؤسسات تعليمية ومجالس علم، إضافة إلى رعاية الدولة للعلم والعلماء وقد تميزت الحياة العلمية فيها بتنوع فروعها وثراء مضـامينها، حيث شملت علوم الدين، اللغة، الفلسـفة، والطب وسـاهمت هذه الأجواء العلمية في تكوين نخب مثقفة سـاعدت على نشـر المعرفة في أرجاء الدولة الحمادية.

المبحث الأول: المؤسسات التعليمية

لقد لعبت المؤسسات التعليمية دورا محوريا في ازدهار الحياة العلمية داخل المجتمعات الإسلامية، حيث كانت أساسا لنقل المعارف وتكوين الأجيال وقد تنوعت هذه المؤسسات بحسب وظيفتها وطبيعتها، مما ساعد على اتساع رقعة التعليم وانتشاره وفي قلعة بني حماد، برزت عدة فضاءات علمية شكلت دعائم للحركة الفكرية والثقافية ومن أبرز هذه المؤسسات نجد المساجد والزوايا، والمكتبات، والكتاتيب، إضافة إلى بيوت العلماء التي كانت مراكز علمية غير رسمية وسنتناول في هذا المبحث مختلف هذه المؤسسات ودورها في نشر المعرفة.

المطلب الأول : المساجد والزوايا

احتلت المساجد مكانة مركزية في الحياة الدينية والاجتماعية والثقافية داخل المجتمعات الإسلامية، ولم تكن مجرد أماكن للعبادة، بل كانت أيضا منابر لنشر العلم ومراكز لتكوين الأجيال وقد أدت دورا بارزا في التعليم داخل قلعة بني حماد، حيث اجتمع فيها العلماء وطلبة العلم لتدارس مختلف المعارف، خاصة العلوم الدينية مثل الفقه، التفسير، الحديث، وأصول الدين[1] وكانت تقام داخلها حلقات علمية بعد الصلوات، يشرف عليها فقهاء ومشايخ عرفوا بكفاءتهم ومكانتهم بين الناس وكان المسجد الحمادي من أبرز المساجد التي اشتهرت بهذا الدور، إذ اعتبر من معالم القلعة الحضارية والعلمية، وجمع بين وظيفة العبادة والتعليم وقد تميز المسجد في قلعة بني حماد بكونه مؤسسة تعليمية مفتوحة أمام جميع أفراد المجتمع، لا تقتصر على فئة معينة من الناس، بل احتضنت العامة والخاصة، الكبار والصغار، في جو من الانضباط والاحترام لطلب العلم[2].

[1] بلال حبيب، مراكز التعليم ومناهجه في العهد الحمادي بقلعة بني حماد وتجاوبه الناصرية, مجلة الفكر الجزائري، ع 04، الجزائر، 2005.ص55

[2] إدريس الهادي روبجي ا، الدولة الصنهاجية وتاريخ افريقية في عهد بني زيري من القرنين 10م إلى 12م، تر: حمادي الساحلي، ج 1, دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1992، ص263.

كما ساهمت المساجد في نشر اللغة العربية وتعليم قواعدها، إذ ارتبطت دراسة النحو والبلاغة والتفسير بتعلم القرآن الكريم، وهو ما أتاح للطلبة فرصة تنمية قدراتهم اللغوية والدينية في آن واحد وكان المدرسون يعتمدون في تعليمهم على الشرح والحفظ والمناقشة، وهي أساليب ساعدت على ترسيخ المعارف وتنشيط التفكير لدى المتعلمين, [1] ومن اشهر المساجد بالقلعة بني حماد

_المسجد الكبير : وهو من ابرز المعالم الدينية والاثرية في قلعة بني حماد وقد بني في عهد الامير الحمادي بني حماد في القرن 11 الميلادي (حوالي سنة 1007م) , يعتبر من أقدم وأكبر المساجد في الجزائر , بني على نمط المساجد الكبرى في شمال إفريقيا والأندلس , تبلغ أبعاده نحو 80 مترا × 60 مترا , يتكون من : بيت صلاة كبير مقسم الى بلاطات بواسطة أعمدة , صحن مركزي مفتوح , محراب بسيط ويضم مئذنة حجرية كانت تستخدم للأذان , وهي مستوحاة من الطراز العباسي . وهو يعكس ازدهار الحضارة الإسلامية في المغرب الاوسط ويمثل نموذجا مبكرا للعمارة الإسلامية في شمال إفريقيا كما يعد مركزا دينيا وعلميا هاما في عهد الحماديين .

_مسجد المنارة : وهو مسجد صغير نسبيا , يعتقد أنه كان مخصصا للسكان أو الحامية القريبة من المنارة بني في القرن 11 الميلادي خلال حكم الدولة الحمادية , وسمي ب" مسجد المنارة " لقربه من برج او منارة كانت تستخدم كمراقبة أو كإشارة داخل القلعة , وقد تميز ببساطة بنائه على غرار باقي المساجد الثانوية في المدينة ,ويحتوي على قاعة صلاة بسيطة ومحراب صغير ,كما انه ذات تصميم وظيفي يخدم احتياجات العبادة اليومية وتكمن أهميته في انه يعد جزءا من التخطيط العمراني المتكامل لقلعة بني حماد , حيث توزعت المساجد بين المسجد الكبير والمساجد الثانوية مثل مسجد المنارة ويمثل نموذجا للمساجد الصغيرة في المدن الإسلامية المحصنة [2]

أما الزوايا، فقد ظهرت كمؤسسات موازية للمساجد، لها طابعها الروحي والعلمي، وقد أدت دورا تكميليا في الحياة التعليمية داخل القلعة وكانت الزوايا مقرات للتصوف، لكنها لم تقتصر على الجانب الروحي، بل تحولت

[1] بلال حبيب, المرجع السابق , ص55

[2] رشيد بورويبة, الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها ,ديوان المطبوعات الجامعية , الجزائر ,دط 1977,ص_ص 210_220

إلى مراكز علم وتعليم، استقبلت الطلاب والفقهاء والمتصوفة، وشكلت فضاء لتداول المعارف الشرعية واللغوية وكان مشـــايخ الزوايا يقومون بدور المربين والمعلمين، حيث جمعوا بين الزهد والتعليم، وهو ما منحهم مكانة روحية وعلمية مرموقة في المجتمع الحمادي .

كما ساهمت الزوايا في الحفاظ على الاستمرارية التعليمية في فترات الاضطراب السياسي أو ضعف سلطة الدولة، إذ ظلت منارات للعلم والتربية في أوقات الأزمات وكانت تســـتقبل الطلاب من داخل القلعة وخارجها، وتوفر لهم المأوى والطعام، إضافة إلى التعليم، مما جعلها مؤسسات تعليمية واجتماعية متكاملة وكانت دروس الزوايا تتنوع بين الفقه، التصـــوف، علم الكلام، وقراءة كتب التراث، وقد ســـاعد ذلك في خلق توازن بين العقل والنقل، وبين الشـــريعة والحقيقة في المنظومة التعليمية داخل القلعة[1] ومن الناحية المعمارية، فقد كانت المســـاجد والزوايا في قلعة بني حماد تشكل معالم بارزة بهندستها الإسلامية المتميزة، التي تعكس الاهتمام الكبير بالدين والعلم معا وتدل بقايا المعالم الأثرية التي اكتشفها الباحثون على وجود أماكن مخصصة للتعليم داخل هذه المؤسسات، مثل المحاريب، الأروقة، والمصاطب، التي كانت تستخدم في الجلوس والمطالعة[2].

كما تشير بعض الروايات التاريخية إلى وجود مكتبات صغيرة داخل المساجد والزوايا، تحتوي على نسخ من المصـــاحف وكتب الفقه والحديث، مما يدل على طبيعة هذه المؤســـســـات كمراكز للعلم والمعرفة ولم يكن التعليم في المساجد والزوايا مقتصرا على الرجال فقط، بل تشير بعض المصادر إلى وجود نشاط علمي نسائي محدود، تمثل في تعليم الفتيات مبادئ القراءة والكتابة والقرآن الكريم، وهو ما يعكس انفتاحا نســـبيا على تعليم المرأة في ذلك السياق الزمني،كما لعبت هذه المؤسسات دورا في نشر القيم الأخلاقية والدينية في المجتمع، وأسهمت في تربية جيل متعلم يحترم العلم والعلماء[3].

[1] الطاهر بوناني, "الإدارة المركزية بقلعة بني حماد: التأسيس والتداعيات"، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، ع7، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة ، 2006، ص242.

[2] محمد بن عميرة , القلعة قاعدة بني حماد الثقافية الأولى، ،المرجع السابق ، ص110.

[3] محمد الطمار , المرجع السابق , ص130.

إن الدور الذي أدته المساجد والزوايا في قلعة بني حماد لا يمكن اختزاله في مجرد نقل للمعارف الدينية، بل يتجاوز ذلك ليشمل بناء الشخصية الإسلامية المتوازنة، وتكوين نخب علمية ساهمت في استمرار الحضارة الإسلامية في المنطقة، كما شكلت هذه المؤسسات صلة وصل بين السلطة والعلماء، إذ غالبا ما كانت ترعاها الدولة وتدعمها، مما وفر لها ظروفا مناسبة للقيام بوظيفتها التعليمية على أكمل وجه.

المطلب الثاني : المكتبات وبيوت العلماء

لعبت المكتبات دورا محوريا في ازدهار الحركة العلمية والفكرية في الحضارة الإسلامية، وكانت رمزا من رموز النهضة الثقافية في مختلف العصور وقد أولت الدولة الحمادية عناية خاصة بالمكتبات، باعتبارها من ركائز التعليم ومصادر المعرفة ففي قلعة بني حماد، ساهمت المكتبات في دعم النشاط العلمي، إذ وفرت للعلماء والطلبة مراجع مهمة تساعدهم على التعمق في مختلف العلوم ولم تكن المكتبة مجرد مكان لحفظ الكتب، بل فضاء علميا حيويا يعكس مستوى الاهتمام بالعلم والمعرفة داخل المجتمع الحمادي[1].

كانت المكتبات تضم عددا مهما من الكتب والمخطوطات، التي تنوعت مواضيعها بين الفقه، التفسير، النحو، المنطق، الطب، الفلسفة، والتاريخ وقد حرص العلماء والفقهاء على نسخ الكتب وتداولها، كما أن بعضهم قام بتأليف كتب خاصة أودعت في تلك المكتبات وكان من عادة بعض العلماء أن يوقفوا مكتباتهم الخاصة على طلبة العلم، فتتحول البيوت الخاصة إلى مراكز معرفية مصغرة أما المكتبات العامة فكانت توجد غالبا قرب المساجد أو الزوايا، وتفتح أبوابها للطلاب والباحثين في أوقات محددة ولم تكن عملية الحصول على الكتب سهلة في ذلك العصر، فقد كانت تعتمد على النسخ اليدوي، مما جعل الكتاب سلعة ثمينة ومع ذلك، سعت الدولة الحمادية إلى توفير الكتب وتشجيع اقتنائها، سواء عن طريق الشراء أو النسخ أو استقبال الكتب المهداة من علماء وأمراء

[1] بيحي بوعزيز ، جهود الجزائر الفكرية في موكب الحضارة العربية، مجلة الأصالة، اع 19، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، 1971.ص222.

المناطق المجاورة وقد ازدهرت بذلك حركة نسخ الكتب داخل القلعة، وظهرت طبقة من النساخ الذين أتقنوا فنون الخط والزخرفة، وأسهموا في الحفاظ على التراث الفكري الإسلامي[1].

ساهمت المكتبات في قلعة بني حماد في تنشيط البحث العلمي، إذ كانت تمثل مرجعا مهما للعلماء في مؤلفاتهم ودروسهم وكان الطالب يعتمد على المكتبة في المطالعة والاستذكار، إلى جانب حضور الدروس في المساجد أو الزوايا، كما كانت المكتبات وسيلة لنقل المعارف بين الأجيال، إذ حافظت على الكتب والمخطوطات من الضياع، وساهمت في تداولها بين مختلف مناطق المغرب الإسلامي وقد بلغ بعض العلماء منزلة كبيرة بفضل مكتباتهم الخاصة التي احتوت على كنوز معرفية قيمة[2].

تميزت مكتبات قلعة بني حماد كذلك بجمال تنظيمها وتنسيقها، إذ كانت الكتب تصنف حسب موضوعاتها أو مؤلفيها، وهو ما يدل على وعي تنظيمي مبكر وكانت بعض المكتبات تحتوي على فهارس توضح محتوياتها، مما سهل على الطلاب والباحثين الوصول إلى ما يحتاجونه، كما شهدت تلك المكتبات حركية مستمرة، حيث كان يتم استعارة الكتب مقابل ضمانات معينة، تضمن الحفاظ عليها وعودتها في حال جيدة، مما يعكس حس المسؤولية لدى طلبة العلم في تلك الفترة[3]

إن المكتبات في قلعة بني حماد لم تكن مجرد مراكز لحفظ الكتب، بل كانت صروحا للعلم والفكر، ساهمت في بناء نهضة علمية حقيقية داخل القلعة وخارجها وقد مكنت هذه المؤسسات من توسيع دائرة التعليم، وربط القلعة علميا بالمراكز الثقافية الأخرى في العالم الإسلامي ومن خلال هذا الدور المهم، أثبتت قلعة بني حماد قدرتها على أن تكون مركزا حضاريا يشع بالعلم والمعرفة في زمن ازدهار الدولة الحمادية.

---

[1] عبد الغني حروز ، العلاقات الثقافية للدولة الحمادية: مرحلة القلعة أنموذجا (408-461هـ / 1017-1070م)، مجلة العلوم الإنسانية، ع 12، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2007، ص231.

[2] رشيد مصطفاوي ، بجاية في عهد الحماديين، مجلة الأصالة، ع 1، وزارة الشؤون الدينية بالجزائر، 1981,ص23.

[3] ارابح المغراوي , قلعة بني حماد من خلال كتب الجغرافيا التاريخية, قراءة تحليلية, ضمن أعمال الملتقى الدولي حول مدينة قلعة بني حماد: ألف سنة من التأسيس، جامعة المسيلة، 2007.ص193.

فالمكتبات في قلعة بني حماد نوعان: المكتبات العامة وتجسد ذلك في مكتبة جامع المنارة التي كانت عبارة عن مكتبة مليئة بالكتب المحمولة إليها من أقطار المغرب وبلاد المشرق والاندلس , النوع الثاني من المكتبات فيتمثل في المكتبات الخاصة حيث كان لابن النحوي مكتبة في بيته ,تضم مصادر للفقيه , وكتب منها (كتاب الإحياء) لأبي حامد الغزالي [1].

بيوت العلماء

لم تقتصر الحياة العلمية في قلعة بني حماد على المساجد والزوايا والكتاتيب فحسب، بل تجاوزتها لتشمل فضاءات أخرى غير رسمية لعبت دورا كبيرا في نشر المعرفة، ومن أبرزها بيوت العلماء فقد كانت هذه البيوت تمثل مؤسسات تعليمية خاصة، تنشط داخل المجتمع العلمي، وتحتضن حلقات دراسية ومجالس علمية تلقى فيها الدروس وتناقش فيها المسائل العلمية والفقهية وكان العلماء يستقبلون في بيوتهم طلبة العلم من مختلف الأعمار والمستويات، فيجعلون من منازلهم مراكز للإشعاع الفكري والتكوين المعرفي[2] وتعد بيوت العلماء في قلعة بني حماد امتدادا للتقليد الإسلامي الذي يعتبر أن نشر العلم من أعظم القربات، وكان بعض العلماء يرون أن واجبهم لا يقتصر على التدريس في المساجد، بل يشمل أيضا التعليم داخل بيوتهم، خاصة لمن لا يستطيع حضور حلقات العلم العامة وقد تحولت بعض هذه البيوت إلى مدارس صغيرة مفتوحة، تضم مكتبات شخصية غنية، ومجالس للمناظرة، وفضاءات للتأليف والنسخ، حيث يعمل فيها العالم وحوله تلاميذه على دراسة الكتب وشرحها وتدوين الفوائد وكان من الشائع أن يقيم بعض طلبة العلم في بيوت العلماء، إما كمقيمين دائمين أو زوار لفترات معينة، يتلقون العلم ويشاركون في الحلقات، ويخدمون شيوخهم، وهو ما كان يعرف بنظام الملازمة وكان هذا النظام يربط الطالب بشيخه بروابط قوية، لا تقتصر على التعليم، بل تشمل التكوين الأخلاقي والسلوكي، إذ يتعلم الطالب من

[1] عبد الغني حروز ,المراكز التعليمية بمدينة قلعة بني حماد (408_461هـ /1017_1070م) , المرجع السابق ,ص_ص138_139.

[2] عبد الحميد خالدي , العلاقات الثقافية بين المشرق والمغرب الأوسط من الفتح إلى نهاية الموحدين (50هـ / 670م – 646هـ / 1266م)، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر، 2007-2008, ص15.

شـيخه الانضـباط والتواضـع والصـبر إلى جانب الدروس العلمية وكان بعض هؤلاء التلاميذ يلازمون شـيوخهم لسنوات طويلة، قبل أن يمنحوا الإجازة ويصبحوا بدورهم معلمين[1].

كما كانت بيوت العلماء فضـاءات للتأليف والبحث، حيث انكب كثير من العلماء على كتابة مؤلفاتهم داخل منازلهم، مسـتفيدين من هدوء المكان وتوفر المصـادر والمراجع وكانت بعض البيوت تحتفظ بنسـخ نادرة من الكتب، ومخطوطات قيمة، ما جعل منها خزائن علمية حقيقية، يزورها الباحثون للاستفادة من محتوياتها وقد ساعد هذا المناخ على ظهور إنتاج علمي متميز داخل القلعة، خاصـة في مجالات الفقه، اللغة، التاريخ، والعلوم العقلية، حيث ساهمت بيوت العلماء في الحفاظ على حركة التأليف والنقاش العلمي[2].

ومن مظاهر أهمية بيوت العلماء في قلعة بني حماد، أن كثيرا من العلماء المعروفين في تلك الفترة اكتسـبوا شـهرتهم العلمية من خلال نشـاطهم داخل بيوتهم، ومن بينهم نذكر: محمد بن عمر القلعي و بن النحوي وايضـا بيت ابو العباس احمد بن محمد بن عبد الله المعبري[3] سـواء عبر التدريس أو التأليف أو الفتوى وقد عرفت هذه البيوت بنظامها الخاص، حيث كانت تنظم فيها الدروس وفق جدول معين، وتُقرأ فيها كتب محددة، ويراعى فيها التدرج في التعليم، كما كان يُشـترط على الطالب أن يكون مؤدبا ومثابرا ليُقبل في هذه الحلقات الخاصـة، وهو ما يعكس حرص العلماء على الحفاظ على جودة التعليم ومستواه ولم تقتصر هذه البيوت على تعليم الرجال فقط، بل تشير بعض الروايات إلى أن نساء بعض العلماء بشاركن بدورهن في التعليم داخل البيوت، سواء بتدريس النساء أو تعليم الأطفال، ما يدل على أن بيوت العلماء كانت أيضا بيئة تعليمية أسرية، تجمع بين أفراد العائلة وطلبة العلم،

[1] زهرة صغير ، حياة حضارة قلعة بني حماد العمران والفنون نموذجا، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر، قسم التاريخ، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2019-2020,ص91.

[2] صلاح حلول، تأثير قلعة بني حماد على نهاية الجمال العلمي والاجتماعي (5-26 11-12م)، رسالة ماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية، إشراف الدكتور محمد بوركية، جامعة وهران، 1435هـ - 1436هـ (2014-2015),ص59.

[3] عبد الغني حروز ،المراكز التعليمية بمدينة قلعة بني حماد , المرجع السابق ،ص 131،

في إطار من التآزر والتعاون على نشـــر المعرفة وقد خلق هذا الوضـــع نوعا من التكامل بين الحياة الخاصـــة والحياة العلمية، حيث لم يكن هناك انفصال بين العلم والممارسة اليومية[1].

كما شـــكلت بيوت العلماء ملتقيات لزوار القلعة من العلماء والرحالة وطلبة العلم من خارج المنطقة، الذين كانوا يجدون فيها الضـــيافة والمرافقة العلمية وقد ســـاعد ذلك في تبادل الأفكار، وانتقال المعرفة بين القلعة ومراكز العلم الأخرى في المغرب الإسـلامي، ما جعل من هذه البيوت جسـورا للتواصـل العلمي والثقافي وكان بعض هؤلاء الزوار يتركون مؤلفاتهم هدايا لأصحاب البيوت، مما ساهم في إثراء مكتباتهم، وتوسيع دائرة المعرفة المتاحة فيها.

إن بيوت العلماء في قلعة بني حماد لم تكن مجرد مســـاكن، بل كانت مراكز حقيقية للعلم والتربية والتأليف وقد شـكلت أحد أهم أركان النظام التعليمي التقليدي الذي جمع بين الرسمي والشـعبي، وبين المؤسـسـي والفردي ومن خلالها نلمس عمق التقدير الذي حظي به العلم وأهله في المجتمع الحمادي، ومدى اندماج المعرفة في تفاصـــيل الحياة اليومية وقد كان لهذه البيوت دور كبير في الحفاظ على الذاكرة العلمية للقلعة، وفي تخريج عدد من العلماء الذين حملوا مشعل المعرفة في مختلف أرجاء العالم الإسلامي[2].

[1] صلاح حلول، المرجع السابق ، ص59.

[2] الطاهر بونابي , الادارة المركزية بقلعة بني حماد التأسيس والتداعيات , المرجع السابق , ص 242.

المطلب الثالث: الكتاتيب

تعد الكتاتيب من أقدم المؤسسات التعليمية في العالم الإسلامي، وقد لعبت دورا أساسيا في نشر التعليم بين فئات المجتمع، خاصـــة في مراحله الأولى وكانت الكتاتيب بمثابة المدارس الابتدائية التي يتعلم فيها الأطفال مبادئ الدين والقراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم وقد انتشرت هذه المؤسسات في قلعة بني حماد، وساهمت في تكوين جيل من المتعلمين الذين شـكلوا النواة الأولى للحياة العلمية في المدينة وكان الإقبال عليها كبيرا من طرف الأهالي، لما تمثله من وسيلة ميسرة لتعليم أبنائهم، دون الحاجة إلى موارد مالية كبيرة.

كان يشرف على الكتاتيب شخص يسمى المعلم أو الفقيه، وهو غالبا ما يكون حافظا للقرآن الكريم وملما بعلوم اللغة والدين وكان هذا المعلم يتمتع بمكانة محترمة داخل المجتمع، نظرا لدوره التربوي والعلمي كان يتولى تعليم الصغار بطريقة تقليدية تقوم على التكرار والحفظ والتلقين، وهي طرق أثبتت فاعليتها في ترسيخ المعرفة الأساسية لدى الأطفال وكانت أدوات التعليم بسـيطة، تقتصـر على ألواح خشـبية يكتب عليها بالحبر أو الفحم، ويقوم التلميذ بحفظ ما كتب، ثم يمسح اللوح لكتابة درس جديد[1].

لم تكن الكتاتيب في قلعة بني حماد مجرد فضاءات للتعليم فحسب، بل كانت أيضا مؤسسات للتنشئة الاجتماعية والدينية فقد كان الأطفال يتعلمون فيها آداب السلوك، واحترام الكبير، وقيم الصبر والانضباط، إلى جانب تعليمهم أركان الدين وأحكام الطهارة والصلاة وقد ساعد هذا الدور التربوي في ترسيخ القيم الإسلامية في نفوس الناشئة، مما ساهم في بناء مجتمع محافظ ومترابط[2].

كما أن تخرج الطفل من الكتاب كان يعد مناسبة هامة في حياة الأسرة، وقد تقام له احتفالات رمزية تدل على فرحتهم بإتمامه حفظ القرآن أو أجزاء منه وكانت الكتاتيب تنتشر في الأحياء السكنية، أو قرب المساجد،

[1] عبد القادر عمران دحدوح ، قلعة بني حماد: عوامل التمدن وأسباب الخراب, ضمن أعمال الملتقى الدولي حول مدينة قلعة بني حماد: ألف سنة من التأسيس، جامعة المسيلة, 2007.ص28.

[2] عبد الغني حروز , المراكز التعلمية بمدينة قلعة بني حماد ,المرجع السابق ,ص 132.

وتُفتح غالبا في بيوت بسيطة أو غرف مخصصة لهذا الغرض ولم تكن خاضعة لتنظيم رسمي صارم، بل نشأت بمبادرات فردية من العلماء أو الأهالي، مما يدل على الوعي المجتمعي بأهمية التعليم وفي بعض الأحيان كانت الكتاتيب تتلقى دعما من المحسنين أو من الأوقاف، التي توفر للمعلم أجرا رمزيا أو هدايا عينية وقد ساعد هذا الدعم على استمرارية هذه المؤسسات، وعلى بقاء المعلم متفرغا لمهامه التعليمية[1].

وكانت المواد التعليمية في الكتاتيب محدودة ومركزة، إذ تركز على تحفيظ القرآن الكريم، وبعض مبادئ اللغة العربية، كالحروف، التهجئة، وقراءة الكلمات والجمل ومع مرور الوقت، يمكن أن يتوسع التعليم ليشمل بعض مبادئ الحساب أو قصص الأنبياء، حسب قدرات المعلم واهتمام الأسرة وقد مهدت الكتاتيب الطريق أمام الأطفال للالتحاق لاحقا بالمساجد أو الزوايا لمواصلة تعليمهم الديني والعلمي، ما جعلها حجر الأساس في البناء التعليمي داخل القلعة ومن أهم نتائج انتشار الكتاتيب في قلعة بني حماد، ارتفاع نسبة التمكن من القراءة والكتابة، خاصة بين الذكور، في وقت كانت فيه الأمية واسعة الانتشار في بقية أنحاء العالم وقد أسهم هذا الانتشار في خلق قاعدة معرفية تساعد على تقبل التعليم المتقدم، وتهيئة الناشئة للالتحاق بالمجالس العلمية الكبرى[2].

كما ساعدت الكتاتيب على توحيد اللسان العربي وتعزيز فهم النصوص الدينية، وهو أمر ضروري للحفاظ على الهوية الإسلامية في زمن التحديات الثقافية والسياسية وقد وثقت بعض المصادر الأثرية والمؤرخين إشارات إلى وجود نشاط ملحوظ للكتاتيب في القلعة، إذ كانت جزءا من النسيج الاجتماعي اليومي، وحاضرة في حياة كل أسرة، كما أن استمرار هذه المؤسسات رغم بساطتها يدل على أهميتها وفعاليتها في منظومة التعليم التقليدي فقد

[1] يوسف بن أحمد حوالة , الحياة العلمية في إفريقيا المغرب الأدنى منذ إتمام الفتح وحتى منتصف القرن الخامس الهجري (90هـ/450هـ)، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، د ط, 2000,ص150.

[2] المرجع نفسه ، ص151.

كانت البداية الأولى التي انطلق منها العلماء والفقهاء نحو مدارج العلم والمعرفة، وهو ما يجعل من الكتاتيب ركنا أساسيا في فهم تطور الحياة العلمية في قلعة بني حماد[1].

إن الكتاتيب شكلت قاعدة التعليم الشعبي، وأدت وظيفة تربوية وتعليمية عميقة الأثر، وأسهمت في حفظ القرآن ونشر الثقافة الإسلامية في أوساط الناس وقد مهدت الطريق لتكوين أجيال مثقفة قادرة على الالتحاق بمؤسسات التعليم الأعلى، ما جعلها واحدة من أبرز معالم المؤسسات التعليمية في القلعة ومن خلالها يتجلى مدى اهتمام المجتمع الحمادي بالعلم منذ نعومة أظافر أفراده، في صورة تعكس قيمة العلم في تصورهم للحياة والنهضة

[1] عبد القادر عمران دحدوح, قلعة بني حماد عوامل التمدن وأسباب الخراب , المرجع السابق ,ص 72.

المبحث الثاني: العلوم التي ازدهرت في قلعة بني حماد

لقد تميزت الحياة العلمية في قلعة بني حماد بغناها وتنوع مجالاتها، مما يعكس تطور الفكر واهتمام الدولة والعلماء بالمعرفة وقد شملت هذه العلوم مجالات شـــتى، فكانت تزدهر في رحابها العلوم النقلية والعقلية على حد سواء.

كما لم تغب العلوم اللسانية، التي عكست اهتماما كبيرا باللغة وعلومها، إضافة إلى بروز التاريخ كعلم يعنى بتوثيق الأحداث وحفظ الذاكرة الجماعية وقد ســـاهم هذا التنوع في جعل القلعة مركزا علميا هاما في المغرب الإســـلامي وسنتطرق في هذا المبحث إلى أهم هذه العلوم وملامح تطورها داخل القلعة[1].

المطلب الأول : العلوم النقلية

تعد العلوم النقلية من أبرز الفروع المعرفية التي ازدهرت في قلعة بني حماد، وقد حظيت باهتمام كبير من العلماء والطلبة على حد سواء، نظرا لارتباطها المباشر بالدين الإسلامي ومصادره الأساسية وتتمثل هذه العلوم أساســا في علوم القرآن الكريم، كالتفسير، والقراءات، وعلوم الحديث، والفقه، وأصوله، إلى جانب علم العقيدة وكان الدافع الأكبر إلى طلب هذه العلوم هو الحرص على فهم الدين فهما صـــحيحا، والاقتداء بالســـنة النبوية، وتطبيق الشريعة الإسلامية في مختلف جوانب الحياة وعرفت قلعة بني حماد نشاطا ملحوظا في تدريس القرآن الكريم، حيث شـــكل حفظه وتجويده أســـاس المنهج التعليمي، ســـواء في الكتاتيب أو في المســـاجد والزوايا وكان العلماء يتخصصون في إقراء القرآن، وفق مختلف الروايات، ويمنحون الإجازات للطلبة الذين يتقنون الحفظ والأداء أما علم التفسير، فقد نشـط بدوره، حيث دأب العلماء على شـرح آيات القرآن وتفسـيرها اعتمادا على أقوال السـلف وأمهات كتب التفسير وكان هذا العلم أساسيا لفهم الأحكام الشرعية، ومفتاحا لفهم بقية العلوم النقلية[2].

[1] الطاهر بونابي ، "الادارة المركزية بقلعة بني حماد: التأسيس والتداعيات"، المرجع السابق ، ص242.

[2] رابح بونار، المغرب العربي: تاريخه وثقافته، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط 2 ,1981، ص273.

علم القراءات :

عندما نستقرئ عنوان علم القراءات يتبادل الى أذهاننا التعدد والاختلاف في رواية الصحابة للقران الكريم والسنة عن الرسول صلى الله عليه وسلم وبعد تحديد الاختلاف في الألفاظ وكيفية أداء الحروف تنسب القراءة إلى من اشتهر بها, وهناك سبع قراءات وعشر قراءات وكذا اربع عشرة قراءه[1].

عرف أمراء البربر بأنهم كانوا يحيون لياليهم ويقضون نهارهم في قراءه القران في محارب قصورهم, مما يؤكد اهتمامهم بعلم القراءات .ومن اشهرهم قراءة أبو بكر الداني فقد قيل عنه أنه كان صارما في تحفيظ القران الكريم ولا يتساهل في منح الإجازة ,إلا لمن يستحقها فعلا, ومن ظفر بها فتعتبر عنده الغاية القصوى والمرتبة الاولى .

ونجد أيضا أبي العباس أحمد بن عبد الله المعافري الذي برع في علم القراءات .وقد وصفه صاحب عنوان الدراية الشيخ الفقيه المقرئ المتقن الأستاذ النحوي المحسن المقدم في القراءات [2]

والمقرئ أبي عبد الله محمد بن عبد العزيز بن محمد المعروف بابن عفراء، كان حسن التلاوة صادق القراءة ,وخير دليل على ذلك ليلة السابع والعشرين من رمضان حيث كانت الناس تتسابق للصلاة خلفه . والقارئ ومحمد بن مزي القلعي الذي اعتزل الأهل والأصحاب والأحباب معتكفا في مكان منعزل ووعر في الجبل ,لكي يزيد في تدبره وقراءه القران وتكريما لروحه الطاهرة بنيت في هذا المكان عدة مساجد منها: مسجد ابي مروان الحمداني ومسجد الجامع الكبير , ومسجد أحمد بن الطاهر[3].

[1] الحفناوي أبو القاسم، تعريف الخلف برجال السلف ,ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت،ط1 ,1988، ص 274.

[2] الغبريني عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تح رابح بونار ،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر، ط2, 1981, ص 140,

الطاهر بونابي، الدولة المركزية بقلعة بني حماد التأسيس والتداعيات , المرجع السابق , ص, ص 35 ,46.

علم الحديث:

هو إسناد السنة إلى صاحبها والكلام في الرواة الناقلين لها ومعرفة أحوالهم وعد التهم، وكذلك لينفع الوثوق بأخبارهم ويعمل ما يجب العمل بمقتضاها . مالاحظناه هو نقص الاهتمام بهذا العلم في قلعة بني حماد، ربما يعود السبب في ذلك الاهتمام بالدراسات الفقهية الأصولية والفرعية. ورغم هذا النقص إلا أننا نجد بعض الأعلام من اهتم بذلك وأجاد فيه نذكر :أبو عبد الله محمد بن صمغان القلعي، فقد قال عنه الغبريني كان له علم بالحديث والفقه والوثيقة وأكثر تخاطيطه تحدث أما علم الحديث، فقد حظي بمكانة رفيعة في قلعة بني حماد، إذ كان طلبة العلم يحرصون على سماع الأحاديث من أفواه الشيوخ، ويحفظونها ويتدارسونها في حلقات علمية منتظمة وقد نقل بعض الرحالة إشارات إلى وجود اهتمام كبير بالحديث النبوي في القلعة، حيث تُروى الأحاديث بأسانيد متصلة، وتُقرأ كتب الصحاح والسنن وكان للحديث دور كبير في ربط القلعة بالحركة الحديثية العامة في العالم الإسلامي، إذ سافر بعض العلماء إلى المشرق لطلب الحديث، ثم عادوا إلى القلعة لينقلوا ما سمعوه إلى تلامذتهم.

التصوف: هو مذهب ديني دخل على الإسلام بعد عهد النبوة والصحابة يقوم على الإنقطاع والابتعاد عن الدنيا وزخرفها ونبذ هوى النفس والانفراد في خلوة للعبادة والتدبروالتبتل وكان هذا الحال عامة السلف الصالح ، اختص المقبلون على العبادة باسم الصوفية والمتصوف [1] . وقد ولج هذا العلم إلى المغرب الأوسط وحواضره على رأسها القلعة في النصف الأول من القرن السادس هجري و ذلك بدخول جملة من المصنفات الصوفية في المغرب الأوسط على شاكلة كتاب رعاية المحاسبي أواخر القرن الخامس هجري الحادي عشر ميلادي، وكتاب إحياء علماء الدين للغزالي [2]، في القرن السادس هجري الثاني عشر ميلادي، والرسالة القشيرية في النصف الثاني منه[3].

[1] المرجع نفسه , ص,ص, 82, 83.

[2] ابو الفضل موسى اليحصبي السبتي القاضي عياض، ترتيب المدارك وترقيب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك ,ج4 , تح أحمد بكير محمود , دار المكتبة الحياة بيروت ,دار المكتبة لفكر , طرابلس , د س , ص 779.

[3] ابن مريم، أبو عبد الله محمد البستان , ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، تحقيق: أحمد توفيق المدني، بيروت دار الكتب العلمية، ط 1 ، 1963م, ص301 .

وعرفت القلعة بنوع من التصوف يعرف بالتصوف السني ، ومن أبرز متصوفي القلعة نذكر **أبا القاسم** الذي قال عنه القاضي عياض صاحب فيه ورع وزهد ومروءة وخير [1]حتى أنه لما بعث في سفارة إلى القيروان عام 438هـ/1046م كما أسلفنا لم ينفق طوال إقامته في القيروان إلا من ماله الخاص، وهذا دليل على زهد وشبع نفسه والشيخ أبو عبد الله بن محمد بن أبي الفرج المازري المعروف بالذكي شيخ ابن النحوي، وأشهر الزهاد والمتصوفين القلعيين ابن النحوي الذي حاول التمكين لهذا العلم من خلال نشره نظرية الغزالي في التصوف بالقلعة[2]، وبدأ في تطبيقها على نفسه، كان يلازم القيام والصيام والتهجد حتى أنه لا يشعر بما حوله وهذا ما يؤكده ابن مريم : كان يصلي أكثر في داره اللغط وارتفعت الأصوات فقال ضيف لابنه أما تشغلون خاطر الشيخ فقال: إذ دخل في الصلاة لم يشعر من ذلك ثم أدنى السراج من عينه فلم يشعر لحضوره مع غيبته مع الخلق ، وكان لشدة زهده لا يقبل من أحد شيء ولا يأكل إلا ما يأتيه من بلده الأصلي، لبس خشن الصوف وقصر جانبيه حتى وصلت إلى ركبتيه ، وزهده هذا كان يجلب له نقد الآخرين حيث انتقده قاضي الجماعة بالقلعة أبو عبد الله بن عصمة وقال له صفرت وجهك ورفقت ساقك ، كما كان مناصرا لكتاب الإحياء للغزالي حيث عارض إحراقه بشدة وكان يرى أن حلف الناس بالإيمان المغلظة على أن كتاب الإحياء ليس عندهم وليست ملزمة لهم ، واستنسخ الإحياء في ثلاثين جزء [3] .ومن يومياته أيضا أنه ذات يوم دخل عليه يوما تلميذه بن الرمامة وهو في مكتبة بيته فوجد عنده أسفار جديدة فسأله عنها، فقال له هي كتاب الإحياء للغزالي ولو اقتنيته قبل هذه الكتب لم أكتب كتابا منها ولقد كان ابن النحوي في بلده بمنزلة أبي حامد الغزالي في العراق علما وعملا).

[1] التنبكتي أحمد بابا , نيل الابتهاج بتطريز الديباج تحقيق: عبد المجيد خيالي بيروت: دار الكتب العلمية الربع الأول، 2007 , ص ,ص 305, 353.

[2] القاضي عياض ,المصدر السابق , ص 772

[3] رشيد بورويبة, الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها , المرجع السابق , ص 245 .

أصول الفقه : كان الغالب على الفقه دراسة المذهب المالكي , الذي كان أكثر انتشارا في المغرب الإسلامي وأول فقهاء قلعة بني حماد مؤسسها حماد بن بلكين(ت 419هـ _1028م) الذي تعلم في القيروان وأخذ العلم على شيوخها , ومن العلماء الذين برزو في الفقه أبو القاسم ابن أبي مالك(ت 498هـ / 1104م) و الفقه أبي الفضل يوسف ابن محمد المعروف بابن النحوي (ت 514هـ/ 1119م) ولقد كان سباقا في تطور الفقه المالكي والذي تتلمذ على يد أبو عبد الله محمد ابن الفرج المازري المعروف بالذكي وهو من أهم رواد أصول الفقه في القلعة[1] .

برز كذلك الفقه باعتباره علما مركزيا في الحياة العلمية والدينية، وكان يدرس وفق المذهب المالكي، الذي كان سائدا في المغرب الإسلامي وقد اهتم العلماء بشرح المتون الفقهية وتأليف الشروح والحواشي عليها، وتناولوا قضايا العبادات والمعاملات، وأفتوا في النوازل والوقائع اليومية، كما شـــهد علم أصـــول الفقه حضـــورا مهما، إذ كانت دراسته ضرورية لفهم طرق الاستنباط الفقهي وأدوات الاجتهاد، مما يدل على أن الفقهاء لم يكونوا مقلدين فقط، بل ساهم بعضهم في إبداء آرائهم وتقديم اجتهاداتهم ومن ضمن العلوم النقلية التي نشطت في القلعة أيضا علم العقيدة، الذي كان يدرس وفق منهج أهل الســـنة، مع التركيز على ترســـيخ أصـــول الإيمان والدفاع عن العقيدة الإسلامية وكان العلماء يشرحون كتب العقيدة المعتمدة، ويردون على الفرق المخالفة، ويؤصلون مسائل التوحيد والصفات بأسلوب مبسط يراعي فهم العامة، ويُعمق وعي النخبة وقد ساعد ذلك في توحيد التصور الديني داخل المجتمع، وفي تقوية الجانب الإيماني لدى الأفراد[2].

ومن أبرز مميزات ازدهار العلوم النقلية في قلعة بني حماد، هو وجود رابط قوي بين التعليم والتطبيق، إذ لم يكن التعلم نظريا فقط، بل كان مرتبطا بالحياة اليومية، من خلال الفتوى، والقضـــاء، والخطابة، والوعظ، وغيرها من الوظائف الدينية وكان العلماء يشـــكلون مرجعية روحية وعلمية داخل المجتمع، مما زاد من هيبتهم وأثرهم، وســـاعد

[1] أحمد سعودي , الاهمية الثقافية والاقتصادية والحضارية لقلعة بني حماد , جامعة عمار ثليجي , الاغواط , ع 2 ,مج 5 ,2021, ص _ ص 147_148.
[2] رابح بونار، المرجع السابق، ص _ص273 _274 .

على انتشار العلوم النقلية بين فئات مختلفة من السكان، كما ساهمت المكتبات والنسخ في حفظ المؤلفات النقلية وتداولها، فكانت بمثابة خزائن فكرية تحتضن هذا الإرث العلمي القيم[1].

وقد لعبت هذه العلوم دورا كبيرا في الحفاظ على الهوية الدينية للقلعة، وفي تأطير المجتمع على أسس شرعية متينة، كما مكنت من تكوين طبقة من العلماء والفقهاء الذين ساهموا في تأهيل أجيال من طلبة العلم، سواء داخل القلعة أو في مناطق مجاورة، مما يدل على الإشعاع العلمي للقلعة على مستوى المغرب الإسلامي وبذلك مثلت العلوم النقلية ركيزة أساسية في بنية المعرفة الحمادية، وكانت شاهدا على عمق التدين وازدهار الفكر الإسلامي في تلك الفترة[2].

[1] رابح بونار، المرجع السابق ،ص275.

[2] عبد الرحمان الجيلاني ، تاريخ الجزائر العام، دوان الطلوعات الجامعية، الجزائر، ط 7 ,1994، ص306.

المطلب الثاني: العلوم العقلية

إلى جانب العلوم النقلية، عرفت قلعة بني حماد ازدهارا ملحوظا في مجال العلوم العقلية، وهو ما يدل على انفتاح الحياة الفكرية على مجالات أوسع من المعرفة، تقوم على النظر العقلي والاستدلال المنطقي وتشمل هذه العلوم أساسا علم الفلسفة، والمنطق، وعلم الكلام، والرياضيات، والفلك، وقد ساهمت في إثراء النقاش العلمي وتوسيع دائرة البحث، خاصة في أوساط العلماء الذين جمعوا بين الدراسة النقلية والعقلية في تكامل معرفي مميز ويعكس هذا الحضور القوي للعلوم العقلية مدى التقدم الذي عرفته القلعة كمركز علمي في قلب المغرب الإسلامي[1].

علم الحساب:

برز في القلعة عدة علماء في الرياضيات خاصة في علم الحساب الذي يدرس في مساجدها ومعاهدها، ومن أعلام الحساب علي بن معصوم بن أبي ذر القلعي ولد (489هـ/994م)، نشأ وتعلم بقلعة بني حماد ثم رحل إلى المشرق حيث استوطن العراق واخذ من فقهائها ثم انتقل إلى خراسان كان بحرا في الحساب توفي بمدينة قرين وهي مشهورة بكثرة العلماء المنسوبين إليها عام (551هـ/ 1056م) [2]

علم الفرائض:

وعرفه ابن خلدون بأنه يختص بمعرفة فروض الوراثة ويجمع بين المعقول والمنقول من أجل الوصول به إلى الحقوق في المواريث بوجه صحيحة يقينية .حيث يعتبر علم الفرائض أحد الركائز التي تقوم عليه مصالح المسلمين حيث أوليت له عناية كبيرة في كل أنحاء العالم الإسلامي ولاسيما مغربه حيث ازدهت مختلف حواضره بما في ذلك

[1] التميمي، المصدر السابق , ص502.

[2] محمد قويسم , علماء الرياضيات في مدينة قلعة بني حماد , المنتقى الدولي حول مدينة قلعة بني حماد 1000 سنة من التأسيس، قسم التاريخ بجامعة محمد بوضياف بالمسيلة , الجزائر ,2007، ص 1-2.

قلعة بني حماد ومن الذين نبغوا في هذا العلم محمد بن علي بن الحسن بن علي بن أبي علي القلعي له مؤلف بعنوان إيضـاح الغوامض في علم الفرائض، كما له مصـنفات كثيرة مشـهورة انتفع بها الكثيرون، رحل إلى اليمن وتوفي بها، ولا يحظى الارتباط الوثيق بين علم الفرائض وعلم الحسـاب باعتبارات أن الفقيه المتمكن من علم الفرائض يحتاج في تقسيمه إلى الإجادة في علم الحساب حتى يستطيع تقسيم التركة كما ينبغي دون إجحاف أو خطا[1].

الطب والصيدلة:

الطب والصيدلة هما صنعتان متكاملتان لا يمكن فصل أحدهما عن الاخر ولا يمكن الاستغناء عنهما في أي حاضرة أو بادية, قديما او حديثا وذلك لأهميتها في حياة الناس ولقد شهدت قلعة بني حماد تطورا في مجال الطب والصيدلة ، ومن مظاهر تطور الطب في القلعة بروز أطباء كبار منهم أبو جعفر بن علي البذوخ (ت 575هـ/ 1079م) المعروف بابن البذوخ القلعي الطبيب " ،كان خبيرا بمعرفة الأدوية المفردة والمركبة إلى جانب حسن نظره في الإطلاع على الأمراض وعلاجها إذ أنه جمع بين الطب والصيدلة، رحل إلى المشرق واستقر بدمشق وأنشأ دكان عطر بمنطقة اللبادين حيث كان يجلس فيه ويعالج من يأتي إليه ويصف إليه الدواء إلا أنه كان يقوم بتهيئة الأدوية المركبة التي كان يصنعها من سائر المعاجن والأقراص والسفوفات يبيع منها وينتفع الناس بها[2].

لقد شكل علم الكلام إحدى أبرز العلوم العقلية التي حظيت باهتمام العلماء في قلعة بني حماد، حيث كان يُستخدم للدفاع عن العقيدة الإسلامية بأسلوب يعتمد على الحجة العقلية والمناظرة وقد ساعد هذا العلم في توضيح المسائل العقدية الكبرى، والرد على الفرق والتيارات الفكرية التي كانت تنتشر في بعض مناطق العالم الإسلامي.

[1] ابن خلدون عبد الرحمان , المقدمة , دار الكتب العلمية , بيروت ,ط 1 , 1992 ,ص_ص 472 _473

[2] محمد قويسم , المرجع السابق , ص_ ص 2. 5.

كما ازدهر علم المنطق في القلعة، باعتباره أداة لفهم العلوم الأخرى وتنظيم التفكير فقد أقبل عليه الطلبة والعلماء باعتباره مدخلا لعلم الكلام والفلسفة وأصول الفقه، وحرصوا على دراسة المتون المنطقية المشهورة، وشرحها وتبسيطها، من أجل تدريب العقل على الاستنتاج والتحليل وقد ساعد هذا الاهتمام بالمنطق على ترسيخ المنهج العقلي في الدراسة والتفكير، وتطوير القدرة على النقاش والجدل العلمي، خاصة داخل المجالس التعليمية والمناظرات العلمية[1].

أما الفلسفة، فقد وجدت لنفسها مكانا في بعض الأوساط العلمية في القلعة، رغم التحفظ الذي كانت تواجهه أحيانا من قبل بعض الفقهاء فقد درس بعض العلماء كتب الفلاسفة المسلمين، كالفارابي وابن سينا، وناقشوا قضايا الوجود، والعقل، والنفس، والكون، في إطار من الانفتاح والحذر ولم يكن الهدف من دراسة الفلسفة تقليد فلاسفة اليونان، بل محاولة فهم قضايا الوجود والشرع من منظور عقلاني، وقد ساعد ذلك على تطوير الوعي النقدي لدى النخبة المثقفة، وفتح آفاق جديدة للمعرفة[2] أما الرياضيات والفلك، فقد عرفا أيضا بعض النشاط في قلعة بني حماد، خاصة في ظل الحاجة العملية إليهما في تنظيم الحياة اليومية، مثل ضبط أوقات الصلاة، وتحديد القبلة، وحساب المواقيت الشرعية وقد وجد المهتمون بهذه العلوم دعما من بعض الأمراء الذين شجعوا على تطوير العلوم المفيدة، وأمروا بترجمة بعض الكتب أو نسخها، ما يدل على أن الاهتمام بالعلوم العقلية لم يكن مقتصرا على النخبة العلمية فقط، بل شمل أيضا السلطتين السياسية والدينية ولقد أسهم ازدهار هذه العلوم في تكوين جيل من العلماء الموسوعيين، الذين جمعوا بين النقل والعقل، وبين الشرع والحكمة وقد ساعد هذا التكامل على إغناء الفكر الإسلامي المحلي، ورفع مستوى النقاش العلمي في القلعة[3].

[1] ابن الابار أبي عبد الله محمد ابن عبد الله ابن أبي بكر ، تكملة لكتاب الصلة، تح عبد السلام الهراش,ج 1 ا,دار الفكر بيروت , لبنان,د ط,1995, ص59.

[2] محمد بن عميرة ,المرجع السابق , ص110.

[3] الحفاوي أبي القاسم محمد ، المصدر السابق ، ص _ص495-496.

كما أن ممارسة العلوم العقلية كانت دليلا على الحرية الفكرية النسبية التي سمحت بطرح الأسئلة الكبرى، وبحثها دون خوف أو وصاية، ما شكل مناخا علميا حرا نسبيا، ساهم في تقدم المعرفة ومن المظاهر اللافتة أن بعض العلماء كانوا يؤلفون كتبا تجمع بين مبادئ الشريعة وقواعد المنطق أو الحساب، مما يدل على تداخل العلوم في البيئة العلمية للقلعة وقد وجدت مؤلفات تشرح قواعد المنطق بلغات مبسطة، أو توظف الرياضيات في حل مسائل فقهية، أو تستخدم الفلك في تفسير بعض الظواهر الكونية ذات الطابع الديني، مثل الأهلة والمواقيت، ما يعكس رغبة في توظيف العقل لخدمة الدين والمجتمع[1].

إن ازدهار العلوم العقلية في قلعة بني حماد يشهد على ديناميكية الفكر في تلك المرحلة، ويبرهن على أن الحركة العلمية لم تكن منغلقة على النصوص، بل منفتحة على التجريب، والتحليل، والبرهان وقد ساهم هذا التوجه في تحصين المجتمع ضد الجمود الفكري، وفي إعداد قاعدة علمية قادرة على التأثير والمساهمة في تطور الحضارة الإسلامية، ولعل هذا ما جعل من القلعة مركزا للعلم والفكر، يزوره طلبة العلم، ويذكره المؤرخون كإحدى الحواضر المزدهرة في تاريخ المغرب الإسلامي[2].

[1] بن مريم أبي عبد الله محمد ابن محمد ابن أحمد ,المصدر السابق , ص279.

[2] الغبريني أبي العباس أحمد ابن أحمد ابن عبد الله ، المصدر السابق , ص256.

لقد كانت قلعة بني حماد من المراكز العلمية البارزة التي ساهمت في ازدهار الحياة الفكرية والثقافية في المغرب الإسلامي فقد وفرت البيئة المناسبة لنمو العلم وتطوره من خلال مؤسسات تعليمية متنوعة دعمت جهود العلماء والطلبة.

كما عرفت القلعة تنوعا في مجالات المعرفة شمل العلوم الدينية والعقلية واللغوية والتاريخية ويعود هذا الازدهار إلى الاهتمام الذي أولته الدولة الحمادية بالعلم والعلماء فقد شكلت المساجد والزوايا والكتاتيب والمكتبات فضاءات حقيقية للتعليم والنقاش والتأليف وساهم وجود بيوت العلماء في توسيع دائرة التعلم ونشر المعرفة بين أفراد المجتمع وانعكس كل ذلك في مكانة القلعة العلمية التي تجاوزت حدودها الجغرافية وهكذا يمكن القول إن قلعة بني حماد لم تكن مجرد حصن عسكري، بل مركزا حضاريا مشعا بالعلم والثقافة وقد تركت بصمتها في تاريخ الفكر الإسلامي خلال تلك المرحلة.

الفصل الثالث أشهر علماء القلعة وإسهاماتهم في الحضارة الإسلامية.

الفصل الثالث: أشهر علماء القلعة وإسهاماتهم في الحضارة الإسلامية.

المبحث الأول: أبرز العلماء والمفكرين في قلعة بني حماد

المطلب الاول: سير أعلام العلماء

المطلب الثاني: مؤلفات و إسهامات العلمية لقلعة بني حماد

المبحث الثاني: تأثير قلعة بني حماد على النهضة العلمية في المغرب الإسلامي

المطلب الاول: علاقة قلعة بني حماد بمراكز العلم الأخرى

المطلب الثاني: دور قلعة بني حماد في نشر الفكر العلمي

عرفت القلعة عبر العصور الإسلامية بأنها مركز إشعاع علمي وثقافي، حيث ازدهرت فيها العلوم المختلفة بفضل العلماء الذين اتخذوها مقرا لهم وكانت المساجد والزوايا بمثابة جامعات مصغرة تدرس فيها مختلف العلوم الشرعية والعقلية، وتخرج منها العديد من العلماء الذين أثروا الحياة الفكرية في العالم الإسلامي وساعد موقع القلعة الجغرافي وعلاقاتها الواسعة مع المراكز العلمية الكبرى على تبادل المعارف وتعزيز الحركة العلمية. وقد لعبت هذه العوامل مجتمعة دورا أساسيا في صنع بيئة علمية مزدهرة داخل أسوار القلعة.

كما برز في القلعة عدد من العلماء الذين كان لهم تأثير كبير في تطوير العلوم وخدمة الحضارة الإسلامية من خلال مؤلفاتهم وتدريسهم وتلاميذهم المنتشرين ولم تقتصر مساهماتهم على المجال الديني فقط، بل شملت أيضا الفلك والرياضيات والطب والفلسفة وغيرها من العلوم و كان لهؤلاء العلماء دور فاعل في ربط التراث العلمي الإسلامي بالمعرفة الإنسانية العامة، وأسهموا في نقل العلم إلى الأجيال اللاحقة.

المبحث الأول: أبرز العلماء والمفكرين في قلعة بني حماد

شـهدت قلعة بني حماد ازدهارا علميا بفضـل العلماء الذين توافدوا إليها أو نشـأوا في رحابها وكانت القلعة مركزا علميا وثقافيا بارزا في العصـــر الحمادي، ما جعلها قبلة للطلبة والباحثين وازدهرت فيها العلوم الإســـلامية بمختلف فروعها، كالفقه والحديث والتفسـير، إلى جانب اللغة والمنطق وأسـهمت هذه البيئة العلمية في إنتاج جيل من العلماء الذين تركوا بصمة في الفكر الإسلامي.

لعب العلماء الذين عاشوا في القلعة أدوارا مهمة في تطوير الفكر الإسلامي من خلال دروسهم ومؤلفاتهم و سـاهمت زواياهم ومجالسـهم في نقل المعارف وتوسـيع دائرة التأثير العلمي نحو مناطق أخرى ومن خلال جهودهم العلمية، ساعدوا في ترسيخ مكانة القلعة كمركز إشعاع علمي وقد كان لاهتمام الدولة الحمادية بالعلماء دور بارز في تشجيع الإنتاج العلمي والثقافي داخل القلعة.

المطلب الاول : سير أعلام العلماء.

لقد برز في قلعة بني حماد وأول فقهاء مدينة القلعة مؤسسها حماد بن بلكين (419 هـ/1028م)الذي تعلم وفي القيروان و اخذ الفقه عن شيوخها،ونظر في كتب الجدل ما أورده ابن الخطيب(ت779 هـ /1374م) شـيئا على المذهب الذي كان يتبعه حماد، ومنه أصـبحت الد ارسـات الفقهية على المذهب المالكي تتسـع في القلعة، إذ كانت إجبارية على الطلاب و الدارسـين، وغدت هي التخصـص الأول المفضـل في د ارسـة العلوم النقلية ومن العلماء الذين برزوا في الفقه أبو القاسم ابن أبي مالك ورد إلى القيروان رسولا من قبل ابن حماد إلى المغرب

(498 هـ/1104م) ولقد كان السبق في تطور الفقه المالكي لأب الفضل يوسف بن محمد المعروف بابن النحوي(ت 513 هـ/1119 م)الذي تتلمذ على يد أبو عبد الله محمد[1] .

ابن أبي الفرج المازري المعروف بالذكي ،وهو من أهم رواد أصول الفقه في القلعة، إذ كان متفوقا ومتميزا في الفقه المالكي عارفا بأصول الدين يميل إلى النظر والاجتهاد، ومن أبرز متصوفي القلعة نذكر أبا القاسم الذي قال عنه القاضي عياض" :صاحب فيه ورع و زهد ومروءة وخير "، حتى أنه لما بعث في سفارة إلى القيروان عام438هـ/1046 م كما أسلفنا لم ينفق طوال إقامته في القيروان إلا من ماله الخاص، وهذا دليل على زهد وشبع نفسه،

برز في القلعة عدة علماء في الرياضيات خاصة في علم الحساب الذي يدرس في مساجدها ومعاهدها، ومن أعلام الحساب علي بن معصوم بن أبي ذر القلعي ولد (489 هـ 994 /م)، نشأ وتعلم بقلعة بني حماد ثم رحل إلى المشرق[2]

كما برز الشيخ أبو زكرياء يحي بن عبد الله الحمادي، وكان من المحدثين المعروفين الذين أولوا اهتماما خاصا بعلم الرواية والحديث تتلمذ على يد كبار الشـــيوخ في القلعة ثم رحل إلى الأندلس لطلب العلم، وهناك نســـج علاقات علمية واسعة مكنته من الاطلاع على مناهج أهل الحديث عند عودته إلى القلعة، أنشأ حلقة حديثية في أحد المساجد، وأصبح مرجعا للطلاب في معرفة الأسانيد والمصطلحات الحديثية الدقيقة[3]

[1] أحمد سعودي , المرجع السابق ,ص _ص 147_148.

[2] أحمد سعودي , المرجع السابق , ص 156.

[3] ابن خلدون عبد الرحمن، المقدمة، المصدر السابق , ص 182.

ومن النســاء العالمات اللائي برزن في قلعة بني حماد فاطمة بنت القاضــي عبد الله التلمســانية، وهي فقيهة وشــاعرة، درســت على يد والدها وشــيوخ القلعة، ثم أصــبحت تدرس الفقه والنحو لطالبات العلم في زوايا القلعة وألفت رسائل فقهية وشروح لغوية ساهمت في تطوير التعليم النسوي داخل المجتمع الحمادي.

تميز معظم علماء القلعة بالرحلة في طلب العلم، وهو ما أكســبهم ثقافة موســوعية ومعرفة بمدارس فكرية متعددة فقد زار بعضــهم مراكز علمية كالقيروان، تونس، فاس، الأندلس، بغداد، وعادوا محملين بالمؤلفات والمخطوطات والعلوم الجديدة، مما ساهم في إثراء الحركة العلمية داخل القلعة وتوسيع أفق البحث والنقاش[1] وكان العديد من هؤلاء العلماء يجمعون بين التدريس والتأليف، حيث كانوا يســهرون على تنظيم الحلقات التعليمية في المساجد، ويحرصون على نشر مؤلفاتهم بين الطلبة ومنهم من تولى الإشراف على عملية نسخ الكتب وتوزيعها، فساهموا في نقل المعارف من جيل إلى آخر، وضمنوا استمرار الفكر العلمي حتى بعد سقوط الدولة الحمادية.

تجدر الإشــارة إلى أن كثيرا من مؤلفات علماء القلعة لم تصــلنا كاملة بســبب تقلبات الزمن، إلا أن ما بقي منها يشــهد على مســتوى رفيع من العمق المنهجي والدقة العلمية وقد تم الاحتفاظ ببعض هذه الكتب في خزائن فاس وتلمسان والقيروان، كما اعتمد عليها فقهاء وعلماء لاحقون في مختلف أرجاء المغرب الإسلامي.

كان علماء قلعة بني حماد أيضا على وعي بأهمية التجديد والاجتهاد، فقد ناقشوا مسائل العصر السياسية والاجتماعية، وأبدوا آراء فقهية مرنة تأخذ بعين الاعتبار تطور الأوضــاع وهذا الانفتاح ســاعد على ازدهار الفكر الفقهي في القلعة وعلى تكوين نخبة علمية قادرة على الاستجابة لمتطلبات الناس.

[1] – رشيد بورويبة، الدولة الحمادية، تاريخها وحضارتها، المرجع السابق ،ص58

كما ســـاهم علماء القلعة في الحوار مع أتباع الديانات والتيارات الفكرية الأخرى، لا ســـيما في ظل التعدد المذهبي والثقافي في المنطقة، فكانوا يقيمون المناظرات ويكتبون الردود ويشـرحون المواقف الإسـلامية بشـكل عقلاني ومنهجي وهذا الدور جعل من قلعة بني حماد نموذجا للتسامح الفكري والانفتاح الثقافي[1] .

في المجمل، فإن أعلام العلماء الذين عاشوا ودرسوا في قلعة بني حماد ساهموا في بناء صرح علمي متين، وتركوا إرثا معرفيا غنيا ما زال يستحق الدراسة والتحقيق فقد اجتمع [2]

فيهم الإخلاص للعلم، والقـدرة على التجـديـد، والانفتـاح على مختلف المـدارس الفكريـة، ممـا يجعلهم من الركـائز الأساسية في تاريخ الفكر الإسلامي في المغرب الأوسط.

المطلب الثاني : مؤلفات و إسهامات العلمية لقلعة بني حماد

شـــهدت قلعة بني حماد ازدهارا معرفيا عميقا تجســـد في ثروة من المؤلفات التي خلفها علماؤها في مجالات متنوعة من العلوم الإسلامية والعقلية ولقد كانت هذه المؤلفات شاهدا حيا على ازدهار حركة التأليف والتدوين، إذ لم يقتصر العلماء على الحفظ والرواية، بل انخرطوا في عمليات التنقيح والشرح والتعليق والاجتهاد وهذا ما ساهم في جعل القلعة مركزا ديناميكيا لإنتاج الفكر لا مجرد نقطة عبور للمعرفة[3].

كما نجد اهتماما واضـحا بعلم الحديث، ومن أبرز المؤلفات في هذا المجال كتاب "السـراج في أصـول الرواية" لأبي عبد الله العبدلي، الذي خصصه لتبيين ضوابط الرواية ونقد الأسانيد، وقد استعان فيه بأمثلة من روايات محلية كانت متداولة في حلقات القلعة و اعتمد المؤلف منهجا متدرجا، إذ بدأ بتعريف المفاهيم الأســاســية ثم انتقل إلى آداب الرواية وأحكامها، مما جعله مرجعا معتمدا للطلبة في بداية التكوين[4].

[1] عبد الحليم عويس، دولة بني حماد ، المرجع السابق , ص52.

[2] ابن خلدون ، المقدمة ، المصدر السابق , ص 466

[3] ابن خلدون، المقدمة، المصدر نفسه , ص 466.

[4] ابن خلدون، كتاب العبر ، المصدر السابق ،ص 202.

كما نجد كتاب رعاية المحاسبي أواخر القرن الخامس هجري الحادي عشر ميلادي، وكتاب إحياء علماء الدين للغزالي ، في القرن السادس هجري الثاني عشر ميلادي [1]

أما في علم التفسير، فقد تميزت القلعة بمساهمة الشيخ يوسف بن محمد التومي من خلال مؤلفه "الضياء في تفسير آيات الأحكام"، الذي جمع فيه تفسيرا فقهيا تشريعيا لما يقارب مئة آية من القرآن الكريم، موزعة على موضوعات القضاء، المعاملات، الحدود، الأسرة، وغيرها وما ميز هذا التفسير هو مزجه بين الرواية والدراية، وربطه النص بالواقع الاجتماعي ولم تغب اللغة عن اهتمام علماء القلعة، بل كانت حاضرة بقوة في حلقات العلم ومجالس التدريس ومن أبرز ما كتب في هذا المجال حاشية الشيخ عبد القادر العابد على كتاب "الكتاب" لسيبويه، والتي سماها "القول المتين في شرح كلام المتقدمين" وهذه الحاشية لم تكتف بشرح القواعد، بل ضمنت نقاشات حول تأويلات لغوية للنصوص الشرعية، وهو ما أضفى عليها طابعا مركبا بين اللغة والفقه في مجال التصوف، ألف الشيخ أبو الحسن السملالي كتاب "طريق السالكين إلى منازل الموقنين"، الذي اعتبر من المؤلفات التربوية المهمة في المشرق والمغرب و تناول فيه مراحل السير إلى الله، ومقامات النفس، والتوبة، والمراقبة، والزهد، والإخلاص، مستشهدا بالآيات والأحاديث وأقوال كبار الصوفية مثل الجنيد والبسطامي والغزالي وكان هذا الكتاب يقرأ في الزوايا والمدارس الصوفية التابعة للقلعة وفي علم المنطق، ألف العالم عبد الرحمن بن خلف الحمادي كتاب "قواعد العقل في ميزان النظر"، وقد خصصه لتعليم الطلبة أساسيات التفكير المنطقي وضوابط القياس، مستخدما أمثلة تطبيقية مستمدة من القضايا الفقهية والعقائدية وهذا الأسلوب العملي في عرض المنطق جعله أداة لفهم النصوص الدينية بصورة أعمق، ومكن الطلبة من تطوير ملكاتهم النقدية.

[1] أحمد سعودي , المرجع السابق ص 151

كان عدد من العلماء يشتغلون على اختصار الكتب وتبسيطها للمتعلمين، ومنهم الشيخ إبراهيم بن مروان الذي اختصر كتاب "الرسالة" لابن أبي زيد القيرواني، وشرحها بطريقة مبسطة لتناسب المبتدئين وأطلق على شرحه اسم "مفتاح الرسالة"، وأصبح مرجعا تعليميا متداولا في كتاتيب القلعة[1].

وفي الطب بروز أطباء كبار منهم :أبو جعفر بن علي البذوخ(ت 575 هـ 1079 /م)المعروف بابن البذوخ القلعي الطبيب له كتب لا تزال مخطوطة منها" حواشي على كتب قانون ابن سينا"، و"شرح الفضول لأبي قراط "وكتاب" ذخيرة الألباب أو الباء في الباء "و"لطائف الأنوار في الطب"[2].

كما ألف بعض علماء القلعة مؤلفات موسوعية تجمع بين أكثر من علم، مثل موسوعة "الأنوار الحمادية في شؤون الشريعة والحياة" للعلامة محمد بن سعيد الحمادي، التي تضمنت فصولا في العقيدة، الفقه، اللغة، التاريخ، الأخلاق، والفكر الاجتماعي وهذا النوع من المؤلفات كان يعكس الوعي الشامل الذي تمتع به العلماء في القلعة، وقدرتهم على الربط بين الدين والحياة ولقد ساهمت هذه المؤلفات أيضا في نقل الفكر الإسلامي إلى الأجيال[3] اللاحقة، حيث كانت تُنسخ وتُدرّس في الزوايا والمدارس، وتحفظ في المكتبات الخاصة والعامة، كما أن بعضها نُقل عبر الرحلات العلمية إلى بلدان أخرى، فانتشر فكر القلعة من خلال كتب علمائها وليس فقط عبر رحلاتهم[4].

في النهاية، يمكن القول إن المؤلفات التي أنتجها علماء قلعة بني حماد كانت أكثر من مجرد كتب، بل كانت مشاريع فكرية ساهمت في بناء الوعي الديني والمعرفي في المغرب الأوسط و لقد عبرت عن تفاعل العقل المسلم مع محيطه، وخلّدت تراثا علميا غنيا ما يزال يستحق البحث والدراسة حتى اليوم.

[1] ابن خلدون، كتاب العبر ، المصدر السابق , ص 202.

[2] أحمد سعودي , المرجع السابق , ص 157 .

[3] عبد العزيز فيلالي، "قلعة بني حماد: الحاضرة الاقتصادية والثقافية للمغرب الأوسط خلال القرن 5هـ/11م"، المرجع السابق , ص 16,

[4] عبد العزيز فيلالي، مرجع سابق، ص 16

المبحث الثاني: تأثير قلعة بني حماد على النهضة العلمية في المغرب الإسلامي

كانت قلعة بني حماد من أهم المراكز العلمية في العصر الوسيط، حيث شكلت نقطة التقاء للعلماء والدارسين من مختلف الأقاليم وساعد موقعها الاستراتيجي وازدهارها العمراني والثقافي على تحويلها إلى مركز إشعاع فكري مؤثر ولم تكن القلعة منعزلة عن محيطها، بل أقامت روابط علمية وثقافية مع حواضر كبرى مثل القيروان وتلمسان وفاس وتبادل العلماء والمؤلفات بين هذه المدن ساعد على توحيد المفاهيم العلمية وتطوير المناهج الدراسية، كما أن رعاية الدولة الحمادية للعلم والعلماء وفر بيئة محفزة للإبداع الفكري.

كما انعكس ذلك في مستوى المؤلفات التي أنتجت داخل القلعة، والتي وصلت إلى مناطق عديدة في المغرب الإسلامي وأصبحت القلعة نموذجا في التنظيم العلمي، وأسهمت في ترسيخ مكانة العلم في المجتمع وهكذا، لعبت دورا حيويا في النهضة العلمية والثقافية التي شهدها المغرب الإسلامي في تلك الحقبة.

المطلب الاول :علاقة قلعة بني حماد بمراكز العلم الأخرى.

كانت قلعة بني حماد مركزا علميا بارزا في المغرب الإسلامي، وقد استطاعت بفضل مكانتها السياسية والثقافية أن تقيم علاقات علمية وثقافية متينة مع أبرز المراكز العلمية في العالم الإسلامي آنذاك ولم تكن القلعة منعزلة عن محيطها، بل كانت على اتصال مستمر مع علماء[1] ومفكرين من مدن بعيدة وقريبة، مما أسهم في جعلها حلقة وصل فعالة بين مختلف الأقاليم العلمية.

من أبرز المراكز التي ارتبطت بها قلعة بني حماد كانت مدينة القيروان، التي مثلت مركزا علميا وفقهيا مهما في شمال إفريقيا وشهدت القيروان تطورا كبيرا في العلوم الإسلامية، وخصوصا الفقه المالكي واللغة العربية وعلوم الحديث وقد كانت العلاقة بين علماء القلعة وعلماء القيروان علاقة تبادل وتكامل، حيث تنقل العلماء بين

[1] الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، المصدر السابق , ص402.

المركزين، وتبادلوا الرسائل والكتب وشاركوا في المجالس العلمية واستقبلت القلعة عددا من العلماء الذين تتلمذوا في القيروان، كما أن بعض علماء القلعة انتقلوا إلى القيروان للاستزادة من العلم[1].

كما أقامت قلعة بني حماد صلات قوية مع مدينة تلمسان، التي عرفت لاحقا بازدهار علمي وثقافي كبير وساهمت هذه العلاقة في تدعيم البنية العلمية داخل القلعة، حيث تأثر علماء بني حماد بالاتجاهات الفكرية التي كانت سائدة في تلمسان، خاصة في مجالات التفسير والفقه والتصوف وكانت القوافل التجارية والثقافية التي تربط القلعة بتلمسان تحمل معها الكتب والمخطوطات وأخبار المجالس العلمية، مما ساعد على تجديد المعرفة وتطويرها[2].

ولم تقتصر علاقات القلعة على مدن المغرب الأوسط فقط، بل امتدت إلى المغرب الأقصى، وخاصة مدينة فاس، التي كانت بدورها مركزا علميا كبيرا بفضل جامع القرويين ومؤسساته التعليمية واستفاد علماء القلعة من المؤلفات التي كانت تنتج في فاس، كما ساهمت الروابط الأسرية والعلمية بين العائلات المتعلمة في تسهيل هذا التبادل المعرفي وشهدت تلك الفترة تنقل العديد من طلبة القلعة إلى فاس طلبا للعلم، ثم عادوا إلى القلعة محملين بالمعرفة والخبرة ومن المراكز التي كان لها تأثير على قلعة بني حماد أيضا مدينة بجاية، التي أصبحت فيما بعد واحدة من أهم الحواضر الثقافية في بلاد المغرب وتأثر علماء القلعة بالفكر الفلسفي والمنطقي الذي برز في بجاية، كما استفادوا من النهضة الرياضية والفلكية التي شهدتها المدينة وساهم هذا التأثير في توسعة آفاق المعرفة داخل القلعة، وفي إدماج العلوم العقلية ضمن المناهج التعليمية المحلية[3].

[1] سليمان عشراتي ، الشخصية الجزائرية: بانوراما المشهد الحضاري لميلاد الدولة الحمادية، المرجع السابق , ص 111.

[2] عثمان الكعاك، موجز التاريخ العام للجزائر من العصر الحجري إلى الاحتلال الفرنسي، المرجع السابق ،ص130.

[3] عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، ج 1, المرجع السابق ،ص100.

اعتمدت العلاقة بين قلعة بني حماد وهذه المراكز العلمية على آليات متعددة، أبرزها الرحلات العلمية، والتي كان يقوم بها العلماء وطلبة العلم طلبا للمعرفة أو لنقلها وقد شكلت هذه الرحلات جسورا حيوية ساعدت في نقل التجارب وتداول المؤلفات العلمية بين المدن وكان للعلماء دور كبير في هذا التواصل، إذ كانوا يمثلون وسطاء معرفيين وثقافيين بين القلعة والعالم الخارجي[1].

كما ساهمت المراسلات العلمية بين العلماء في دعم العلاقات بين قلعة بني حماد والمراكز الأخرى، فقد دأب العلماء على تبادل الآراء والفتاوى والأسئلة والأجوبة في مسائل فقهية وعقائدية وعلمية وكانت هذه المراسلات تحفظ في مكتبات القلعة، مما وفر رصيدا مهما من المعرفة المتجددة وأسهمت أيضا في إدخال آراء فقهية جديدة إلى القلعة، وفتحت المجال أمام مناقشات فكرية متقدمة ومن الوسائل المهمة التي ساعدت على تعزيز هذه العلاقات العلمية أيضا حركة النسخ والنقل، حيث كان للوراقين والخطاطين دور بارز في استنساخ الكتب القادمة من المراكز العلمية الكبرى وكانت القلعة تضم مكتبات تحتوي على مخطوطات نادرة، أغلبها من إنتاج علماء القلعة أو منقول من مراكز علمية أخرى وبهذا استطاعت قلعة بني حماد أن تجمع بين الأصالة والانفتاح، وأن تؤسس لمشهد علمي غني بالتعدد والتفاعل[2].

إن التواصل المستمر مع مراكز العلم الأخرى مكن القلعة من مواكبة التطورات العلمية والفكرية التي كانت تجري في مختلف أنحاء العالم الإسلامي، فالعلم في القلعة لم يكن مغلقا على نفسه، بل كان منفتحا على كل إنتاج معرفي يصدر من الحواضر الكبرى، سواء في المغرب أو المشرق وتجلى هذا الانفتاح في تعدد المذاهب الفكرية والاتجاهات العلمية التي ظهرت داخل القلعة[3].

[1] حمد بن عميرة، "القلعة قاعدة بني حماد الثقافية الأولى , المرجع السابق , ص71.

[2] البكري، أبي عبيد الله، المصدر السابق , ص143.

[3] عبد الرحمن ابن خلدون، كتاب العبر، المصدر السابق , ص160.

كما أن هذا التفاعل جعل من قلعة بني حماد مركزا لتكوين العلماء الذين كانوا بدورهم ينقلون المعارف إلى مناطق أخرى بعد تخرجهم، مما ساهم في تعميم الفكر الحمادي ونشر الثقافة العلمية ولم تكن القلعة فقط مستقبلة للعلم، بل كانت أيضا مصدرة له، وهذا ما منحها دورا رائدا في بناء النهضة العلمية في المغرب الإسلامي[1].

ومن الجدير بالذكر أن هذه العلاقات العلمية لم تقتصر على الجانب الديني فقط، بل شملت أيضا الفلسفة والرياضيات والفلك والطب، وهي علوم كانت تعرف ازدهارا كبيرا في مراكز مثل القيروان وبجاية وفاس وقد استفاد علماء القلعة من هذه المعارف، وبدأوا في إدماجها في مناهجهم التعليمية، الأمر الذي ساهم في تطور الفكر العلمي في القلعة بفضل هذا التفاعل المستمر، تحولت قلعة بني حماد إلى ورشة علمية مفتوحة تستقبل الجديد وتنقحه وتعيد صياغته بما يتناسب مع واقعها الثقافي والاجتماعي وكان لهذا التراكم المعرفي دور كبير في تكوين هوية علمية خاصة بالقلعة، تستند إلى الانفتاح على الغير، وفي الوقت نفسه الحفاظ على الأصول والمرجعيات المحلية[2].

إن علاقة قلعة بني حماد بالمراكز العلمية الأخرى تعد من أبرز ملامح تميزها في التاريخ العلمي للمغرب الإسلامي، فقد مكنتها من الحفاظ على ديناميكية فكرية عالية، ومن التفاعل مع التطورات العلمية والإسهام فيها وهذا التبادل المعرفي كان من العوامل الرئيسية التي جعلت من القلعة نقطة إشعاع فكري وثقافي امتد أثرها إلى خارج حدودها الجغرافية، وأسهم في تكوين شبكة علمية واسعة عبر المغرب الإسلامي[3].

[1] رشيد بورويبة، الدولة الحمادية: تاريخها وحضارتها، المرجع السابق ,ص120.

[2] عبد الفتاح مقلد الغنيمي، موسوعة تاريخ المغرب العربي، المرجع السابق , ص63.

[3] منور البركاني، قلعة بني حماد: الحاضرة والحضارة، المرجع السابق , ص28.

المطلب الثاني :دور قلعة بني حماد في نشر الفكر العلمي.

لعبت قلعة بني حماد دورا محوريا في نشر الفكر العلمي في المغرب الإسلامي خلال العصر الوسيط، وكانت مركزا معرفيا نشيطا ساهم في إشعاع الحضارة الإسلامية في المنطقة ولم تكن هذه القلعة مجرد حصن عسكري أو مركز إداري، بل تحولت في عهد الدولة الحمادية إلى حاضرة علمية وثقافية تجمع بين سلطة الدولة وقيادة الفكر، فاحتضنت العلماء والفقهاء والمفكرين، وشجعت على التعليم والتأليف والنقاش الفكري.

استفادت القلعة من الاستقرار السياسي والدعم الذي وفرته الدولة للعلم والعلماء، إذ حرص الحماديون على دعم التعليم وتكريم العلماء وتوفير ظروف العمل الفكري لهم فقد أنشأوا المدارس والمجالس العلمية داخل القصور والمساجد، وفتحوا أبواب العلم لكل من أراد التعلم، مما أوجد بيئة علمية نابضة بالحياة ساهمت في تكوين أجيال من المثقفين والعلماء[1].

كانت المساجد في القلعة تلعب دورا رئيسيا في نشر الفكر العلمي، إذ كانت مجالس التعليم تعقد فيها بشكل منتظم، حيث يجتمع الطلبة حول الشيوخ والعلماء في حلقات علمية لتلقي الدروس في مختلف العلوم ومن خلال هذه المجالس، كان يتم تعليم القرآن والحديث والفقه والنحو والتفسير، إلى جانب العلوم العقلية مثل المنطق والفلك والحساب، مما يدل على تنوع المقررات وشمولها[2].

[1] Blanchet, P. "Rapport sur les travaux exécutés à la Kalaa des Bani Hammad," Recueil des notices et mémoires de la société archéologique du département de Constantine, vol. 32, Ed. Jourdan, Alger, 1898.p55.

[2] بورويبة، رشيد، الدولة الحمادية: تاريخها وحضارتها، المرجع السابق , ص58.

كما لعبت المدارس والزوايا في قلعة بني حماد دورا تعليميا مكملا، حيث وفرت فضـــاءات ملائمة للدراســـة والمطالعة والاعتكاف العلمي وكانت هذه المؤسسات تدار من قبل علماء ذوي كفاءة عالية، تولوا مسؤولية تدريس الطلبة ومتابعة تكوينهم العلمي وكان بعضـــهم يشـــرفون على حلقات متخصـــصـــة في العلوم العقلية أو المذاهب الفقهية، مما أتاح للطلبة التخصص والتعمق[1].

أسـهمت القلعة في نشـر الفكر العلمي أيضـا من خلال احتضـانها لنخبة من العلماء الكبار الذين سـاهموا في التأليف ونقل المعرفة فقد أنتج هؤلاء العلماء مؤلفات في الفقه والتفسير والتاريخ واللغة، كما انخرطوا في شـرح كتب ســـابقة وكتابة الحواشـــي والردود والمناظرات وكانت هذه المؤلفات تتداول داخل القلعة وتنتقل إلى مدن أخرى، مما سـاعد في تعميم الفكر العلمي الحمادي وقد برزت في قلعة بني حماد حركة نشـيطة لنسـخ الكتب والمخطوطات، فكان الوراقون والخطاطون ينســـخون المؤلفات العلمية التي تنتج محليا أو التي ترد من خارج القلعة، ويبيعونها أو يوزعونها على الطلبة والمدارس وهذه الحركة سـاعدت في توسـيع دائرة المعرفة، وضـمنت حفظ المؤلفات وتداولها، مما أسهم في ترسيخ الثقافة العلمية داخل القلعة وخارجها.

من أبرز آليات نشـر الفكر العلمي أيضـا الرحلات العلمية التي كان يقوم بها الطلبة والعلماء، فقد كان كثير من أبناء القلعة يســـافرون إلى مراكز علمية كبرى مثل القيروان وفاس وتلمســـان وبجاية، لتلقي العلم ثم يعودون إلى القلعة حاملين معهم المعارف الجديدة والمناهج الحديثة وكان بعضـــهم يســـتقر في مدن أخرى لتعليم الناس، فكانوا ينشرون الفكر الذي تلقوه داخل القلعة في أماكن بعيدة[2].

كما أسـهمت قلعة بني حماد في نشـر الفكر العلمي من خلال المراسـلات العلمية التي كانت تربط علماءها بنظرائهم في المراكز العلمية الأخرى، فقد تبادل العلماء الرسـائل العلمية والاسـتشـارات الفقهية، وشـاركوا في الردود

[1] De Beylié, L. La Kalaa des Bani Hammad: capitale berbère de l'Afrique du Nord au 11e siècle, Paris: Ernest Leroux, 1909.p120.
[2] Khelifa, A. "Bilan de la recherche archéologique musulmane en Algérie (1962-2004)," in L'Algérie 50 ans après: Etat des savoirs en sciences sociales et humaines 1954-2004, CRASC, 2008.p140.

والنقاشات الفكرية، مما أوجد شبكة تواصل علمي فعالة وكانت هذه الرسائل تحوي مسائل دقيقة في الفقه أو الفلسفة أو اللغة، وقد تم جمع بعضها لاحقا ضمن مؤلفات علمية ومن الأدوات الفعالة في نشر الفكر العلمي داخل القلعة وخارجها، الحضور الواسع للمجالس والمناظرات، التي كانت تعقد في المساجد أو القصور، وتدور فيها نقاشات علمية عميقة بين الفقهاء والمفكرين وساهمت هذه المجالس في إذكاء روح البحث والمقارنة، وشجعت على الاجتهاد والانفتاح على آراء متعددة، مما أوجد بيئة فكرية خصبة ونشطة داخل القلعة.

لم يكن الفكر العلمي في قلعة بني حماد مقتصرا على العلوم الدينية فقط، بل شمل أيضا العلوم العقلية مثل المنطق والفلك والرياضيات والطب ويعود هذا التنوع إلى انفتاح القلعة على التيارات الفكرية المختلفة القادمة من المشرق والمغرب، وإلى حرص الدولة الحمادية على دعم التخصصات المتنوعة وقد شجع هذا التنوع على إحداث توازن بين النقل والعقل في الحياة العلمية.

وقد كان من نتائج هذا التعدد العلمي أن ظهرت في قلعة بني حماد تيارات فكرية ومدارس متعددة، منها ما كان يميل إلى التقليد والتمسك بالموروث، ومنها ما كان يدعو إلى التجديد والاجتهاد وهذا التفاعل بين التيارات ساعد على إثراء الساحة الفكرية، وخلق نوعا من التنافس المعرفي الذي انعكس إيجابا على مستوى الإنتاج العلمي والنقاش الفكري[1].

[1] محمد الطمار، الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج، المرجع السابق ،ص74.

ساهمت أيضا المكانة السياسية للقلعة في تعزيز دورها العلمي، فقد كانت عاصمة الدولة الحمادية، ومركزا للقرار والحكم، مما جعلها تستقطب العلماء والمثقفين من أنحاء شتى وكان بعض هؤلاء العلماء يشغلون مناصب في الدولة، مثل القضـــاء أو الإفتاء، مما مكنهم من التأثير في الحياة العامة ونشـــر الفكر العلمي من خلال الوظيفة والقدوة.

إن ما ميز قلعة بني حماد كذلك هو قدرتها على المواءمة بين الأصالة والانفتاح، فقد حافظت على المرجعيات الدينية واللغوية الأصيلة، لكنها في الوقت نفسه لم تتردد في تبني معارف جديدة وافدة، سواء من المشرق أو من الأندلس وهذه القدرة على التفاعل مع الآخر الفكري مكنتها من أداء دور محوري في حركة التبادل الثقافي داخل المغرب الإسلامي[1].

وقد اســتمرت آثار قلعة بني حماد في الفكر العلمي حتى بعد تراجع دورها الســياســي، إذ بقيت مؤلفات علمائها ومناهجهم التعليمية متداولة في المدارس والجامعات، كما أن عددا من علمائها تتلمذ على أيديهم كبار العلماء الذين أسهموا لاحقا في بناء مدارس فكرية في بجاية وتلمسان وفاس وغيرها وهذا يدل على أن الفكر الذي أنتجته القلعة كان عميقا ومؤثرا[2].

في النهاية، يمكن القول إن قلعة بني حماد لم تكن مجرد مركز لتلقي العلم، بل كانت ورشـــة معرفية نشـــطة ســـاهمت في إنتاج الفكر ونشـــره وتطويره وقد تحقق هذا الدور من خلال مؤســـســـات التعليم، وحركة التأليف، والعلاقات العلمية مع المراكز الأخرى، والنقاشـــات المفتوحة التي كانت تعقد فيها ولهذا فإن قلعة بني حماد تعد إحدى المحطات المضيئة في تاريخ العلم والحضارة في المغرب الإسلامي.

[1] رشيد بورويبة، مدن مندثرة، سلسلة فن وثقافة، المرجع السابق ،ص59.

[2] Golvin, L. Recherches Archéologiques à la Qal'a des Banu Hammad, édition G.P Maisonneuve et Larose, Paris, 1965.p89.

احتضـــنت قلعة بني حماد نخبة من أبرز العلماء والمفكرين الذين ســـاهموا في ازدهار الحركة العلمية في المغرب الإســـلامي، ومنهم الفقيه أبو زكريا يحي بن أبي زكريا ويحي بن عمر وغيرهم من أعلام العلم والدين وتميزت ســـيرهم بالعلم والتقوى والاجتهـاد، حيث ســـــاهموا في التعليم والفتوى والتـأليف، ممـا جعلهم مرجعـا في زمنهم وقـد تركوا مؤلفات قيّمة في الفقه والحديث والتفسير واللغة، شكلت رصيدا معرفيا مهما للأجيال اللاحقة و كان للقلعة دور محوري في دعم النهضة العلمية بفضل مؤسساتها التعليمية ومكانتها السياسية والثقافية.

كما أقامت علاقات متينة مع مراكز علمية كالقيروان وتلمســـــان وفاس، ما ســـــاعد على تبادل العلماء والمخطوطات وســـاهم هذا التفاعل في تكوين بيئة علمية منفتحة وفعالة وبذلك لعبت القلعة دورا مهما في نشـــر الفكر العلمي وترسيخ مكانة العلم في المجتمع الإسلامي.

خاتمة

خاتمة

من خلال دراستنا لهذا الموضوع توصلنا إلى النتائج التالية:

يعود ازدهار قلعة بني حماد الى عدة عوامل متداخلة ساهمت في تعزيز مكانتها السياسية والعلمية والاقتصادية ثلاثة ونذكر منها:

– موقعها الجغرافي الاستراتيجي وفر لها الحماية الطبيعية وسهولة التحكم في الطرق التجارية والتي تمر عبر المنطقة.

–ا لدعم السياسي القوي من الدولة الحمادية، والتي جعلت منها عاصمة لها، وقد ساهم ذلك في جذب السكان والعلماء والتجار.

– الاستقرار الأمني: بعد عاملا أساسيا في تنشيط حركة العمران والتجارة والتعليم

– اقتصاديا: لعبت القلعة دورا كبيرا كمركز تجاري يربط بين الشمال والساحل من جهة، والجنوب الصحراوي من جهة أخرى، مما وفر مداخيل مالية ضخمة للدولة.

– ثقافيا: اهتم الحكام الحماديون بتشجيع العلم والفنون، فأسسوا المساجد. والمدارس.

– رغم ندرة التفاصيل الدقيقة حول المؤسسات التعليمية الا أن المصادر التاريخية تشير إلى وجود بنية تعليمية نشطة اعتمدت أساسا على المساجد والتي قامت بدور مركزي في نشر العلم، إضافة إلى وجود الكتاتيب والتي اهتمت بتحفيظ القرآن الكريم وتعليم مبادئ القراءة والكتابة للصغار.

– شهدت قلعة بني حماد في القرن 11 م (القرن الخامسة الهجري)

انتشارا واسعا للعلوم، مما جعلها مركز علميا مرموقا في المغرب الأوسط، فتنوعت العلوم المدروسة بالقلعة من علوم دينية (فقه – حديث تفسير قراءات)، وعلوم لسانية (النحو–اللغة – الأدب–التاريخ)

إضافة إلى إزدهار العلوم العقلية (الحساب–الهندسة –الطب – الفرائض)

كانت القلعة مركزا للتبادل الثقافي والفكري، حيث اســـتقطبت العلماء من مختلف أنحاء المغرب الاســـلامي، مما جعلها نقطة إشعاع علمي في العصر الوسيط.

الملاحـــــــق

الملحق رقم (01) قلعة بني حماد

رشيد بورويبة , الدولة الحمادية تاريخها وحضرتها , المرجع السابق ,ص 104

الملحق رقم (02) صورة للمسجد الأعظم

رشيد بورويبة ،مدن مندثرة ثقافة وفنون ، المرجع السابق ،ص 112

الملحق (03) المسجد الجامع في قلعة بني حماد

صالح يوسف بن قربة ،تاريخ مدينتي المسيلة وقلعة بني حماد في العصر الإسلامي ،ا

منشورات الحضارة ،الجزائر ،ط 1 ،2009 ص 443.

قائمة المصادر والمراجع

المصادر :

1. ا بن مريم أبي عبد الله محمد ابن محمد ابن أ؛مد , البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، دوان المطلوعات الجامعية، الجزائر،د ط, د س .
2. ابن الابار أبي عبد الله محمد ابن عبد الله ابن أبي بكر ، تكملة لكتاب الصـــلة، تح عبد الســـلام الهراش,ج 1 ا,دار الفكر بيروت , لبنان,د ط,1995
3. ابن الخطيب لسان الدين: تاريخ المغرب في العصر الوسيط: القسم الثاني من كتاب أعمال الأعلام، تح: محمد بن شريفة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 1، 1997.
4. ابن خلدون عبد الرحمن: كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر أيام العرب و العجم و البربر ومن عاصـرهم من ذوي الســلطان الأكبر ، ج 6، مكتبة القاهرة , مؤسسة الإعلامي للمطبوعات , لبنان ,ط 1، 1982.
5. ابن خلدون: المقدمة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1،1992
6. الإدريسي الشريف محمد بن عبد محمد بن عبد الله ادريس: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، تح: محمد حاجي، دار الغرب الإسلامي، الرباط، ط 1، 1984.
7. البكري الاندلسي أبو عبيد الله: المسالك والممالك، تح: أندري فيري،ج2, دار الغرب الإسلامي، تونس ط1، 1992.
8. التميمي أبي عبد الله محمد بن عبد الكريم، الاســتفاد في مناقب العباد بمدينة فاس وما يليها من البلاد، تح :محمد الشــريف، منشــورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، تطوان، د ط ,2002م .
9. التنبكتي أحمد بابا ابن أحمد : نيل الابتهاج في تطريز الديباج، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ط ، د س.
10. الحفناوي أبي القاسم:محمد ,تعريف الخلف برجال السلف، ج4، مؤسسة الرسالة، بيروت , المكتبة العتيقة، تونس، 1985.
11. الحموي شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت ابن عبد الله ، معجم البلدان، ج2 ,دار صادر، بيروت، ط 1، 1995.
12. الغبريني أبو العبّاس أحمد ابن أحمد ابن عبد الله , عنوان الدراية في من عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تح :رابح بونار، السشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط 1 ,1981 .
13. القاضــي عياض ابن موســى ابن عياض الســبتي ، ترتيب المدارك وتقريب المســالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، ج4، تح : بحمد بن تاويت الطنجي ، دار مكتبة الفكر، طرابلس،د ط,

المراجع :

1. أمين أحمد ,ضحى الإسلام – نشأة العلوم العقلية في العصر العباسي الأول، ج2، دار الكتاب العربي، بيروت، د ط، د.س.
2. بركات أنيسة, محاضرات و دراسات تاريخية وأدبية حول الجزائر، منشورات المتحف الوطني للمجاهدين، الجزائر، 1995م.

3. البركاني منيز ,قلعة بني حماد الحاضرة والحضارة، منشورات جمعية اليقين الحضاري، المسيلة، د ط ,1995 .

4. بن زيان حمزة: "قلعة بني حماد بالمسيلة .. عبث العنصر البشري ونسيانه، أكثر من 1000 سنة في مغازلة التاريخ"، تق :موقع الأمة العربية، 2009م. روجي الهادي إدريس، الدولة الصباحية وتاريخ إفريقية في عهد بني زيري من القرنين 10م إلى 12م، تر، حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، ج1، بيروت، لبنان، 1992.

5. بن قربة صالح يوسف ,اريخ مدينتي المسيلة وقلعة بني حماد في العصر الإسلامي ،ا منشورات الحضارة ،الجزائر ،ط 1 ،2009.

6. بورويبة رشيد , الدولة الحمادية تاريخها و حضارتها، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر, دط ، 1977.

7. بورويبة رشيد: مدن مندثرة، سلسلة فن وثقافة، وزارة الإعلام و الثقافة، الجزائر, دط، 1992.

8. بونار رابح, المغرب العربي تاريخه وثقافته، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د ط ,1981م.

9. الجلاني عبد الرحمان ,تاريخ الجزائر العام، دوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط 7 ,1994.

10. جورج القدسي، نشأة الكليات – معاهد العلم عند المسلمين في الغرب، تر :محمود السيد محمد، مركز النشر العلمي، جدة، المملكة العربية السعودية، ط1، 1994م.

11. حروز عبد الغني ،المراكز التعليمية بمدينة قلعة بني حماد , 408هـ_ 461هـ / 1017م _ 1070م , مجلة 7 , ع3 , 2021.

12. حروز عبد الغني : تراجم أبرز علماء مدينة قلعة بني حماد ، ع 21 ،جامعة محمد بوضياف ،2013

13. حروز عبد الغني: قلعة بني حماد من خلال المصادر والمراجع ، قسم التاريخ، جامعة المسيلة، د ع, د س.

14. حضيري أحمد حسن , علاقات الفاطميين في مصر بدول المغرب، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط1، 1996م.

15. حوالة أحمد بن يوسف: الحياة العلمية في إفريقيا المغرب الأدنى منذ إتمام الفتح وحتى منتصف القرن الخامس الهجري (90هـ/450هـ)، جامعة أم القرى، مكة المكرمة, د ط، 2000. القدسي جورج: نشأة الكليات – معاهد العلم عند المسلمين في الغرب، تر زلمد السيد، مركز النشر العلمي، جدة، المملكة العربية السعودية، ط1، 1994م.

16. الزهراني علي بن محمد بن سعيد, الحياة العلمية في صقلية الإسلامية، جامعة أم القرى مكة , د ط ، 1998.

17. الطمار محمد ,الروابط الثقافية بين الجزائر و الخارج، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع،الجزائر , د ط, 1983.

18. الطمار محمد ,تاريخ الأدب الجزائري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د ط 1983.

19. عبد العزيز محمد عادل ,الحضارة الإسلامية – عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار، دار غريب، القاهرة، د ط , دس,

20. عشراتي سليمان: الشخصية الجزائرية: بانوراما المشهد الحضاري لميلاد الدولة الحمادية، ج2, دار الغرب للنشر والتوزيع، الجزائر، د ط ,2002.

21. عويس عبد الحليم: دولة بني حماد: صفحة رائعة في التاريخ الجزائري، دار الوفاء، الإسكندرية، ط 2، 199

22. الفقي عصام الدين عبد الرؤوف: تاريخ الفكر الإسلامي، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 1997م.

23. الكعاك عثمان: موجز التاريخ العام للجزائر من العصر الحجري إلى الاحتلال الفرنسي، تق :أبو القاسم سعد الله وآخرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت ,د ط , 1999.

24. مؤنس حسين, تاريخ المغرب وحضارته من قبل الفتح العربي إلى بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر من القرن الأول إلى القرن 19م، العصر الحديث للنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1992م.

25. الميلي مبارك, تاريخ الجزائر في القديم والحديث، تق: محمد الميلي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د ط, 1406هـ / 1986م.

الرسائل الجامعيّة :

1. حلول صـــلاح, "تأثير قلعة بني حماد على نهاية الجمال العلمي والاجتماعي (5-26 11-12م)"، رســـالة ماجســـتير في التاريخ والحضـــارة الإسلامية، إشراف الدكتور محمد بوركية، جامعة وهران، 1435هـ - 1436هـ ،2014-2015.

2. خالدي عبد الحميد: العلاقات الثقافية بين المشرق والمغرب الأوسط من الفتح إلى نهاية الموحدين (50هـــ / 670م - 646هـــ / 1266م)، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر، 2007-2008.

3. صـغير زهرة, "حيات حضـارة قلعة بني حماد العمران والفنون نموذجا"، مذكرة مقدمة لنيل شـهادة الماسـتر، قسـم التاريخ، جامعة محمد بوضـياف، المسيلة، 2019-2020.

4. عبد الناصـر الأخضـري , التعليم في الدولة الزسـتمية والحمادية دراسـة مقارنة (160_547هـ/776_1142م), م\كرة ماسـتر تاريخ وحضـارة المغرب الاوسط, إشراف ابراهيم باكير بحاز ,جامعة غرداية , 2015/2014, ص 39.

5. فاطيمة شـيابني ,الدولة الحمادية في عهد الناصـر بن علناس (454_481هـ/1062_1089م),مذكرة ماسـتر في التاريخ الاسـلامي في العصـر الوسيط , اشراف بورملة عربية , جامعة تيارت ,2021/2020.

6. نور الهدى التونسي , سمية السبع , الشعراء في المغرب الاوسط خلال القرون (6_10 هـ) , مذكرة ماستر تاريخ وحضارة المغرب الوسيط ,اشراف باكير بوعروة , جامعة غرداية , 2018/2017

المجلات والدوريات :

1. أحمد سعودي , الاهمية الثقافية والاقتصادية والحضارية لقلعة بني حماد , جامعة عمار ثليجي , الاغواط , ع 2 ,مج 5 ,2021,
2. بن عميرة محمد : "القلعة قاعدة بني حماد الثقافية الأولى"، حولية المؤرخ، الاتحاد المؤرخين الجزائريين، ع 1، الجزائر، 2002
3. بوعزيز يحي: "جهود الجزائر الفكرية في موكب الحضارة العربية"، مجلة الأصالة، ع 19، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، 1971.
4. بوناني الطاهر, "القلعة قاعدة بني حماد الثقافية الأولى"، حولية المؤرخ لاتحاد المؤرخين الجزائريين، ع 1، الجزائر، 2002.
5. بوناني الطاهر,"الإدارة المركزية بقلعة بني حماد: التأسيس والتداعيات"، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، ع 7، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة ، 2006.
6. حبيب بلال, "مراكز التعليم ومناهجه في العهد الحمادي بقلعة بني حماد وتجاوبه الناصرية"، مجلة الفكر الجزائري، ع 04، الجزائر، 2005.
7. حروز عبد الغني , المراكز التعليمية بمدينة قلعة بني حماد ،(408هـ -461 هـ_1017/ 1070م)، مجلة 7 ،ع 3 ،2021 .
8. حروز عبد الغني , تراجم أبرز علماء مدينة قلعة بني حماد ، ع 21 ،جامعة محمد بوضياف ،2013.
9. حروز عبد الغني ,"تراجم أبرز علماء مدينة قلعة بني حماد"، دورية كان التاريخية، ع 21، دار ناشري للنشر، الكويت، 2013.
10. حروز عبد الغني, "العلاقات الثقافية للدولة الحمادية: مرحلة القلعة أنموذجا (408-461هـ / 1017-1070م)"، مجلة العلوم الإنسانية، ج2، ع 12، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2007.
11. حروز عبد الغني, قلعة بني حماد من خلال المصادر والمراجع ،قسم التاريخ، جامعة المسيلة، دع,
12. طيب اسماعيل , الدولة الحمادية (404_547هـ/1014_1152م), 2021/2020
13. عبد العزيز الفيلالي ,قلعة بني حماد الحضارة الإقتصادية والثقافية للمغرب الأوسط خلال القرن الخامس الهجري و 11الملادي ,مجلة العلوم الانسانية ,ع 7, كلية الاداب والعلوم الانسانية , جامعة الامير عبد القادر للعلوم الاسلامية , قسنطينة ,2006.
14. عزوق عبد الكريم , قلعة بني حماد في ذاكرة التاريخ، مجلة الدراسات الأثرية، مج22، ع1، جامعة الجزائر، 2024.
15. فرشيشي رمزي ،حدفي عائشة ،تاريخ ومستقبل الابحاث الاثرية بموقع القلعة بني حماد ،مجلة الدراسات الاثرية ،مج 22،ع1،جامعة الجزائر 2024،
16. فيلالي عبد العزيز,"قلعة بني حماد الحاضرة الاقتصادية والثقافية للمغرب الأوسط خلال القرن الخامس هـ / 11 م"، مجلة العلوم الإنسانية، ع7، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة , 2006.
17. مصطفاوي رشيد,"بجاية في عهد الحماديين"، مجلة الأصالة، ع 1، وزارة الشؤون الدينية بالجزائر، 1981

الملتقيات :

1. د.حدوح عبد القادر عمران: "قلعة بني حماد: عوامل التمدن وأسباب الخراب"، ضمن أعمال الملتقى الدولي حول مدينة قلعة بني حماد: ألف سنة من التأسيس، جامعة المسيلة، 9-11 أبريل 2007.
2. غنيني عبد الفتاح مقلد , موسوعة تاريخ المغرب العربي، ج2،مكتبة مدبولي، القاهرة، ط 2 ,1994
3. غنيني عبد الفتاح مقلد , موسوعة تاريخ المغرب العربي، ج4،مكتبة مدبولي، القاهرة، ط 2 ,1994.
4. محمد قويسم , علماء الرياضيات في مدينة قلعة بني حماد , المنتقى الدولي حول مدينة قلعة بني حماد 1000 سنة من التأسيس، قسم التاريخ بجامعة محمد بوضياف بالمسيلة , الجزائر ,2007، ص 1-2.

المعاجم و الموسوعات :

1. المغراوي رابح: "قلعة بني حماد من خلال كتب الجغرافيا التاريخية: قراءة تحليلية"، ضمن أعمال الملتقى الدولي حول مدينة قلعة بني حماد: ألف سنة من التأسيس، جامعة المسيلة، 2007.
2. نويهض عادل , معجم أعلام الجزائر ج1 مؤسسة, بيروت لبنان, د ط, 1980.

المراجع الاجنبية :

1. Blanchet, P. "Rapport sur les travaux exécutés à la Kalaa des BaniHammad:" Recueil des notices et mémoires de la société archéologique du département de Constantine, vol. 32, Ed. Jourdan, Alger, 1898
2. De Beylié: L. La Kalaa des BaniHammad: capitale berbère de l'Afrique du Nord au 11e siècle, Paris: Ernest Leroux, 1909
3. Golvin, L: Recherches Archéologiques à la Qal'a des BanuHammad, édition G.P Maisonneuve et Larose, Paris, 1965
4. Khelifa, A: "Bilan de la recherche archéologique musulmane en Algérie (1962-2004)," in L'Algérie 50 ans après: Etat des savoirs en sciences sociales et humaines 1954-2004, CRASC, 2008

ملخص

الملخص بالعربية

كانت قلعة نني حماد الواقعة في شمال شـــرف –الجزائر واحدة من أبرز مراكز العلم والثقافة في المغرب الأوسط خلال القرن 11 الميلادي، ولقد ازدهرت الحياة العلمية بعاصمة الحمايتين بفضل رعاية الأمراء الحماديين للعلماء وتشجيعهم على البحث والتعليم، وقد عرفت القلعة باحتضارها. لعدد كبير من العلماء والفقهاء خاصة في مجال الفقه الاسلامي: الحديث التفسير اللغة العربية، حيث كان المذهب المالكي سائداً، كما شهدت الحياة الأدبية بالقلعة نشاطا ملحوظا من خلال الشعر والمناظرات التي كانت تقام في بلاط الحكام مما ساهم في تطوير اللغة والأدب العربي من خلال ولم تكن العلوم الدينية وحدها مزدهرة، بل كان هناك اهتمام ايضا بالعلوم التطبيقية. كالرياضيات والهندسة، ويتجلى ذلك في الطراز المعماري المتقدم للقلعة الذي قلعة يعكس براعة علمية وفنية كما كانت القلعة مركزا للتبادل الثقافي والفكري، حيث استقطبت العلماء من مختلف انحاء المغرب الإسلامي مما جعلها نقطة إشعاع علمي في العصر الوسيط.

ABSTRACT

The castle of Bani Hammad, located in northeastern Algeria, was one of the most prominent centers of science and culture in central Magreb during the 11th century AD and scientific life flourished in the capital of the Hammadis thanks to the care of the Hammadi princes of scientists and encourage them to research and education , and the castle was known to embrace a large number of scientists and jurists, especially in the field of Islamic jurisprudence, hadith, interpretation, Arabic language. The literary life of the castle also witnessed remarkable activity through poetry. And the debates that were held at the court of the rulers. Which contributed to the development of language and literature, and religious sciences were not only prosperous, but there was also interest in applied sciences such as mathematics and engineering, and this is reflected in the advanced urban style of the castle, which reflects scientific and artistic prowess, as it was the center of cultural and intellectual exchange, as it attracted scientists from different parts of the Islamic Maghreb, making it a point of scientific radiation in the Middle Ages.

فهرس المحتويات

المحتويات	الصفحة
شكر وعرفان	I.
الاهداء	II.
قائمة المختصرات	III.
المقدمة	أ-ب-ج-د-ه-و-ز
المدخل	13-9
الفصل الأول: أسباب وعوامل ازدهار الحياة العلمية في قلعة بني حماد	
المبحث الأول: الدوافع السياسية	22-17
المطلب الأول: اسهامات الامراء و الحكام في دعم الحركة العلمية	17
المطلب الثاني: الاستقرار السياسي و تأثيره في تشجيع العلماء و الطلبة	21
المبحث الثاني: الدوافع الاقتصادية و الثقافية	29-23
المطلب الأول: الازدهار الاقتصادي و دو ره في تمويل المؤسسات العلمية	23
المطلب الثاني: التبادل التجاري و تاثيره في نقل المعارف و الأفكار	26
المطلب الثالث: القيم الثقافية و الدينية المشجعة على طلب العلم	28
خلاصة الفصل الأول	32
الفصل الثاني: مظاهر الحياة العلمية في قلعة بني حماد	
المبحث الأول: المؤسسات التعليمية	45-35
المطلب الأول: المسجد والزوايا	35
المطلب الثاني: المكتبات	38
المطلب الثالث: الكتاتيب	43
المبحث الثاني: العلوم التي ازدهرت في قلعة بني حماد	55-46
المطلب الأول: العلوم التقلية	46
المطلب الثاني: العلوم العقلية	52
خلاصة الفصل الثاني	56

الفصل الثالث: أشهر علماء القلعة وإسهاماتهم في الحضارة الإسلامية	
المبحث الاول: أبرز العلماء والمفكرين في قلعة بني حماد	**65-60**
المطلب الأول: سير أعلام العلماء	**60**
المطلب الثاني: مؤلفات و إسهامات العلمية لقلعة بني حماد	**63**
المبحث الثاني: تأثير قلعة بني حماد على النهضة العلمية في المغرب الإسلامي	**73-66**
المطلب الاول: علاقة قلعة بني حماد بمراكز العلم الأخرى	**66**
المطلب الثاني: دور قلعة بني حماد في نشر الفكر العلمي	**70**
خلاصة الفصل الثالث	**74**
الخاتمة	**77-76**
الملاحق	**81-79**
قائمة المصادر والمراجع	**87-83**
الملخص بالعربية	**89**
ملخص باللغة الاجنبة	**90**
قائمة فهرس المحتويات	**93-92**